7me Année No. 290

Lundi - 23 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٢٣ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

من مآسى الحياة

ضحيـــة مَن هذا ؟

الآباء يأكلون الحصرم ، والأبناء يضرسون !

كنت فى مكتبى مساء الأمس أتحدث إلى قصصية شاعرة جاءت تهدى إلىّ قصة للتقريظ ، وقصصى كاتب جاء يقدم إلى أقصوصة للنشر . وكان من مطارحات الحديث أن تكلمنا فى نصيب الخيال والواقع من قصة الأديبة وأقصوصة الأديب ؛ وجرى على الألسنة الثلاثة كلام فى روعة الواقع المحض ، وزخرفة الفن البارع ، وجاذبية الخيال الممكن . وكأنما كان يدافع عن الحقيقة مدافع من وراء الغيب فأدخل علينا فتى ذاوى الفتوة ضارع الجسم ، ألف القَدر من شقائه مأساة لا يحتاج الكاتب فى سردها إلى تلفيق خياله أو تزويق فنه

قرأ هذا الشاب ما كتبناه عن بعض من عرفنا من فرائس البؤس ، فظن لبراءة فكره وسلامة صدره أن ما نكتبه عن هذه المآسى الأليمة يصادف من أولى الأمر استماعاً واقتناعاً ورحمة ، فأراد آخر الرأى أن يسمعهم أنينه الموجع من هذا المكان القريب . ولو علم فتانا أن القدرة صفة من لا يرحم ، وأن الرأفة خُلق من لا يستطيع ، لأدرك أن كبراءنا وأغنياءنا يقرأون مآسينا للتلهى والفن ، كما نقرأ نحن ملاهيهم للتسلى والعَجب . فإذا كانت لهم عيون فعيونهم من غير دموع ،

وإذا كانت لهم قلوب فقلوبهم من غير شفقة . ولكنه أخذ يستريح إلينا بما كابد من باطن الهم ومكنون الأسى ، فأخذت الكاتبة تنهنه عبرة سالت على الخد ، وأخذ الكاتب يعجب أن يبلغ البؤس بالناس إلى هذا الحد ، وتركا لى أن أقص عليك فصلا من هذه الرواية :

فى المنصورة أيضاً بلد المال والجمال والشعر ، سطر الدهر المصرّف فى سجل الألم الإنسانى هذه المأساة . كان أبوه من كبار التجار فى هذه المدينة ؛ وكانت يداه كيدى الخازن الماهر فى المصرف العظيم تسيلان فى الأخذ والعطاء ورقاً وفضة . وكان معدوداً فى سراة القوم ، يعيش عيش المترفين المسرفين ، يطلق نفسه فى العز ، ويقلب أهله فى النعيم ، وينشّئ أطفاله السبعة على كبر النفس ورفعة الهوى وبُعد الأمل . واتسق له الحال وواتاه الحظ الناهض فظن أمره قد عظم على الأيام واعتصم من الطوارق ، فأغفل المواظبة والمراقبة ، وأهمل المراجعة والمحاسبة ، فصار الداخل لا يسجّل ، والخارج لا يحصّل ؛ واجتمع عليه العدوان السخيان : التاجر المصدِّر الذى يعطى ولا يأخذ اعتماداً على الضمان ، والشارى المستهلك الذى يأخذ ولا يعطى اتكالاً على الأمانة . وظلت الأمور تجرى فى مجاريها اليومية ، تُفرغ صناديق البضاعة ليلاً فى المخازن ، ثم توزع على الناس نهاراً فى الحوانيت ؛ ولا يعلم إلا الله والتاجر ما فى هذا الرواج العظيم من البوار ، وما يبطنه هذا الربح الموهوم من الخسارة

وكان هذا الفتى وهو بكر أبيه قد نجح فى امتحان البكالوريا بقسمها العلمى حين نزلت بهذا التاجر المغرور علة فادحة . وأعان المريضُ العلة على نفسه بما انكشف له من سوء الحال وظلام المستقبل فقضت عليه

جلس الفتى فى المتجر مكان أبيه الراحل وهو يكفكف عبرات العين بالصبر ، ويخفف حسرات القلب بالرجاء ، وفى اعتقاده أنه سيبنى على أساس مكين ويصعد على رأس مال ضخم . فلما خطا الخطوة الأولى تفتحت أمامه الهُوَى ، وتفجّرت حواليه النوازل ؛ فعاد ينظر فى المخازن ويبحث فى الدفاتر فوجد الخطر الذى لا يدفع ، والقضاء الذى لا يُرَد . وحاول أن يتفق مع الغرماء والحرفاء فلم تساعده فداحة دَينه وطراءة سنه على هذا الاتفاق ، فاستغرق بعض الدين كل التركة ، وأعلنت المحكمة إفلاس المتجر ...

وفى عشية وضحاها فقدت الأسرة المدللة وسيلتها للعيش ومكانتها فى المجتمع ، فلم يعد لها بعد الله عائل ولا وائل غير هذا الشاب وشهادة يحملها عليها طابع الحكومة وخاتم وزير المعارف بأنه تربى وتعلم ، فمن حقه أن يمارس شؤون الناس ويلى أمور الدولة . فانتقل الفتى بأسرته إلى القاهرة ، ثم أخذ يقطع السبل المؤدية إلى الوزارات كل صباح وهو نخور بشهادته، مدل بكفايته، فلم يدع باباً من أبواب الدواوين إلا طرقه . ثم ألح فى الطرق رجاة أن يصيخ إليه سمع فلم يشعر بوجوده غير السعاة والحجاب ، فاتسعوا له حيناً ثم برموا به فنهروه وطردوه . وأدرك المسكين بعد لأى أن الشهادة من غير مدد ورقةٌ عليها مداد . فأخذ يلتمس الشفاعة عند أرباب السراوة والجاه . ولكن الشفاعة فى أيامنا أصبحت حرفة لا يبذلها الشفيع إلا لمن يبذل فيها المال أو العرض . فكان الفتى كلما سمع برجل من رجال النفوذ قصده وقص عليه قَصصه ، فلا يكاد الرجل العظيم يعلم أن له أخوات فى غيْسان الشباب ، وأنَّا لا تزال فى ربيع العمر ، حتى تحوم نفسهُ على الخِدْر الذليل ، فتثور الحمية بالفتى فلا يجد لها متنفساً إلا البكاء والاختفاء

والتمس البائس السبيل إلى العمل بالفكر وباليد فلم يوفق . وأوشك أن ينفد ثمن الحلية الأخيرة من حلى أمه ؛ وخشى أن يختم الموت على الأفواه الثمانية الذابلة ، فتقدم إلى العمل (فاعلاً) فى عمارة تبنى ، فرده (المقاول) لرقة جسمه ودقة عظمه !

فانكفأ الطريد بالفشل والخجل إلى أسرته اليائسة الولهى ؛ وباتوا جميعاً على الطوى والجوى يخلطون البكاء بالبكاء ، ويصلون

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

الأم ... أو التاريخ الحى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الحديث فى الأسبوع الماضى عن « مارى أنطوانيت » والثورة الفرنسية ، لأن داراً من دور الصور المتحركة عرضت حياة هذه الملكة المنكوبة فى صورة قريبة إلى التاريخ ولكنها أقرب إلى الفن والتصرف الذى يقتضيه فى بعض المناظر . وشهدت هذه الرواية التاريخية فأيقنت من براعة تمثيلها وعرضها أنها قد جعلت الثورة الفرنسية ذكرى حياة لمن شهدوها كأنهم قد عاشوا فى أيامها وتقلبوا بين تقلباتها وطبعوا فى أخلادهم بعض حوادثها .

وأعانهم على ذلك أن حقائق التاريخ ملتزمة فى مسائلها الجوهرية أحسن التزام مستطاع ، وأنها معروضة على مثال نفسى لا على مثال اجتماعى أو على يقصر الأمر على التأمل والتدبر ولا ينفذ به إلى معترك العاطفة والإحساس

قال « ستيفان زفيج » أكبر كتاب السير المعاصرين فيما مهد به لسيرة « مارى أنطوانيت » إن « الفاجعة التاريخية » تقوم على البطولة أو على أناس من جبابرة النفوس والعقول . فإن لم تكن كذلك فهى تقوم على « إنسان عادى » يتعرض للأحداث الجسام التى تفوقه فى الكبر والضخامة وتجعله عظيما بما يحيط به من أقدار عظيمة وإحن لاطاقة له باتقائها ولا بالخلاص منها بعد وقوعها

ولم تكن مارى أنطوانيت من معدن البطولة والجبروت ، ولكنها كانت امرأة من الطراز الوسط فى الذكاء والمزاج والأخلاق ، تحب سهولة الحياة ولا تشتغل بالها بالفوادح والمشكلات . فلما أحاطت بها الفوادح والمشكلات على الرغم منها ظهرت « الفاجعة التاريخية » على نمط يشبه فواجع الأبطال والجبابرة ، من غير بطولة ولا جبروت

والرأى عندنا أن « الفاجعة الكبرى » تهز النفس هزاً عنيفاً فى حالتين اثنتين : إحداهما حالة البطولة والجبروت التى أشار إليها ستيفان زفيج ، والثانية حالة الإنسان العادى الذى تمتحنه الأحداث فى كل جانب من جوانب نفسه فلا تدع له حاسة بعيدة من سلطانها غير مجروفة فى دوافق تيارها . وكذلك كانت فاجعة التاريخ التى أحاطت بمارى أنطوانيت

كانت ملكة وزوجة وأما ومحبة وامرأة من بنات آدم وحواء كسائر النساء . فما تركت لها الأحداث جانباً من هذه الجوانب إلا استغرقته وطغت عليه : امتحنت منها الملكة فى دولتها ونظام حكمها وعلاقتها بسياسة بلادها التى حكمتها وسياسة بلادها التى ولدت فيها؛ وامتحنت منها الزوجة فى قرينها الذى حالت بينها وبينه علة العجز الصحى سبع سنوات، حتى إذا شفى من عجزه أصابتها فيه خطوب الثورة ودسائس البلاط ؛ وامتحنت منها الأم فطعنتها الثوار وطعنها وليدها نفسه فى أمومتها ، بل فى شرف الأمومة فضلاً عن حنانها ؛ وامتحنت منها المحبة فكانت قصتها مع السويدى فرزن كأقسى ما تكون قصص الفراق أو قصص الغرام المكبوت ؛ وامتحنتها فى أنوثتها فوقفت بينها امرأة عزلاء بادية المقاتل لكل سهم مسموم

لذلك كانت فاجعة « مارى أنطوانيت » من أكبر فواجع التاريخ وإن كانت هى وكان لويس السادس عشر زوجها المظلوم من معدن غير معدن البطولة والجبروت ، لأن النفس الآدمية تقابل هذه الفاجعة من نواحى شتى وصلت كلها إلى غاية المدى وقصارى الاستقصاء . ولا ريب أن الفجيعة الكبرى بين هذه الفجائع المتفرقة التى التقت فى شخص واحد كانت هى فجيعة الأم أو فجيعة الأمومة البالغة فى القسوة والإيلام

شهد القاهريون « نورماشيرر » وهى تمثل فجيعة مارى أنطوانيت يوم جاءها وكلاء الثورة يأخذون منها طفلها الصغير وسلوتها العظمى فى بلاء السجن وبلاء الضنك والحرمان

فأما « مارى أنطوانيت » فالتاريخ لا يروى لنا أنها قد فعلت فى ساعة توديع ابنها ما فعلته نورما شيرر على اللوحة البيضاء ،

الدعاء بالدعاء ، حتى سمعوا أن كلية الطب تطلب فراشين ، فتقدم صاحب الشهادة مع صاحب المكنسة ، وأمله كله ألا يُذاد عن هذا الملجأ الأخير !

وها هو ذا الآن فى قسم الكيمياء ينظف لرفاقه فى الدراسة المقاعد والمناضد بأجرة فى الشهر مقدارها مائة وأربعون قرشاً يحفظ بها أربعة أعراض وثمانية أرواح ! ولعله بفضل ما تعلم من المعادلات واللوغارتمات لا يتعب كثيراً فى حساب هذا الدخل !

احمد حسن الزيات

١٠ ٥ ١٢

ولا أنها قد مانعت هذه الممانعة وتخبطت هذا التخبط وبكت هذا البكاء ، ولـكن الممثلة أرادت أن تجمع فى هذا الموقف ما تفرق فى أعوام من الحنان المفجوع والعطف المطعون ، فبالغت هذه المبالغة التى صدقت بها الفن وإن لم تصدق التاريخ

فقد ثبت فى الأسانيد الصحيحة أن هذه الأم الوفية ضيعت نفسها مرات وأعرضت عن كثير من وسائل النجاة فى سبيل الطمأنينة على وليدها الصغير

فلما فشلت خطة الهرب إلى « فارن » وأصبح استئناف السير فى المركبة المقفلة ضربا من المستحيل عرض عليها بعض الأنصار المخلصين ركوب الجياد فى المسافة القصيرة الباقية بينهم وبين الحدود قبل إطباق الثوار والجنود ، فأبت هذا الاقتراح مخافة على ابنها أن تصيبه رصاصة من بعض الجنـد ، لا يأمن التعرض لما على ظهر جواد كما يأمنها فى المركبة المقفلة أو الركب المجهول

ولما دبر الملـكيون إخراجها من السجن وإخراج ابنها وبنتها معها فى أسمال العامل الذى يوقد المصابيح مع أولاده الصغار فشلت هذه الخطة فى اللحظة الأخيرة ، ثم قيل للملـكة إنها تستطيع الهرب وحدها على أن تترك ابنها وابنتها ولا خوف عليهما كما يخاف عليها هى من جراء المحاكمة والاضطهاد . فأبت كل الإباء وآثرت البقاء مع ولديها على النجاة وحدها وهى لا تعلم مصير هذين الطفلين

ولما ألح عليها المحامى أن تسأل المحكمة الثورية تأجيل يوم المحاكمة ريثما يستعد للدفاع ويفرغ من مراجعة الأوراق رفضت إلحاحه وأصرت على رفضها مخافة أن يكون اعترافها بحكومة الثورة بمثابة النزول عن حق ولدها فى وراثة التاج . فعاد المحامى يحتال عليها من ناحية حنان الأمومة ، ويذكرها أن حياتها مطلوبة لولدها لا لنفسها ، واسترسل فى هذا الإغراء فلم يتحدث طويلاً على هذه النغمة حتى أقلعت عن عنادها وثابت إلى القبول وكتبت خطابها المحفوظ الذى جمعت فيه بين الحيطة والإصغاء إلى رجاء المحامى ، فأفرغته فى قالب الإخبار والعمل بنصيحة المحامى كأنما هو مكتوب على لسانه لا على لسانها حتى يتحقق به الإبلاغ ولا يتحقق به الاعتراف

والكارثة الـكبرى يوم ضبط ابنها الصغير بعد فصله منها وهو يعبث العبث الذى لا يعرف فى مثل سنه الباكرة ، فلما روّع بالسؤال عمن علمه هذا أجاب على عادة الأطفال : إنها هى أمه وعمته . . . ! ثم حرضه المحرضون على الشهادة بما قال وبما أضافوه إليه من هراء لا يقبله العقل ولا يحتمل التصديق ، فأنفت أن تجيب عن هذه التهمة وتجاهلتها حتى نبه بعض المحلفين رئيس المحكمة إلى هذا التجاهل فأعاد سؤالها فلم تزد على أن تقول : « إذا كنت لم أجب فإنما أبيت الجواب، لأن الطبيعة تأبى أن تجاب تهمة كهذه توجه إلى أم . وإنى لأحيل الأمر فى هذه المسألة إلى جميع الأمهات الحاضرات فى هذا المكان »

فشعر أعضاء المحكمة وشعر دعاة الاتهام معهم أن الضربة قائلة ، وأنهم ما صنعوا بها إلا أن قربوا بين هذه الأم وبين جميع الأمهات والآباء ، فسرى فى الحاضرات والحاضرين شعور العطف عليها والرثاء لما أصابها ، وما كانوا حاضرين إلا للشماتة والازدراء

وقد كان آخر ما صنعته بعد صدور الحكم بموتها ويقينها أن وليدها لم يبق له بعدها من يشرف على أمره غير عمته المسجونة ، أنها كتبت إلى تلك العمة ترجوها الصفح عن الغلام وتعتذر له بصغر سنه وسهولة إغرائه ، وتوصيها به خير الوصاة

لقد كانت مصيبة الأم فى حياة مارى انطوانيت أظلم المصائب وأشدها حلكة وسواداً ، ولـكنها كانت أنصع الصفحات فى سيرة هذه الملكة المنكودة والمرأة المبتلاة ، وإن تلك الصفحة وحدها لـكفيلة بخلق « الفاجعة الـكبرى » فى هذه السيرة النادرة بين سير النساء

عباس محمود العقاد

إلى الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تفضلت فأهديت إلىّ نسخة من كتابك الجديد (مستقبل الثقافة فى مصر) وكان من واجبى أن أشكر لك هذه الهدية بخطاب أسجل فيه هذا التلطف . ولعلنى لو حاولت ذلك لاهتديت إلى أن من الخير أن أنتهز الفرصة وأشرب معك كأساً من الشاى فى بيتك لنجدد العهد ؛ ولـكنى آثرت أن أشكر لك هذه الهدية بأسلوب آخر هو الهجوم عليك

وما كان ذلك حبًّا فى المشاغبة كما يتوهم بعض من لا يفقهون، وإنما كان ذلك لأنى أشعر أننا أسرفنا فى حب السلام ، والسلام ضرب من الموت ، وأعتقد أننا فى هذه الأيام نختلف أقل مما يجب وياويلنا إذا لم نختلف !

ويسرنى أن أعرف فيما بينى وبين نفسى أنى لم أقصر فى محاربتك ، ولم يفتنى أن أنذر رجال التعليم بخطرك ، وقد قلت لهم بصوت يسمع أهل القبور : « إن هـذا الرجل سينتزع من أيديكم كل شىء » فما استمع مستمع ولا استجاب مجيب

وكم قلت للغافلين: إن طه حسين ليس أعلم العلماء ، ولا أحكم الحـكماء ، وإنما هو رجل « متحرك » كما يعبر أهل بغداد ، فتحركوا يا جامدين لتسدوا عليه الطريق

كم قلت: إن من الغفلة أن يسكت رجال التعليم إلى أن يسمعوا صوت الناقوس من طه حسين ! وما قلته لرجال التعليم قلت بعضه لنفسى، ففى كتابك الجديد آراء أذعتها من قبلك فى الجرائد والمجلات، ولـكنى لم أحتفل بها كما احتفلت فأذيعها فى كتاب خاص ، ولو أنى فعلت لأضعت عليك فضل السبق . ولـكن ما فات فات

ما كان يسرنى أن تنتصر ، وإن كنت أقسمت يمين الوفاء لـكلية الآداب ؛ ولـكن ماذا أصنع وأنا مضطر لـكلمة الحق فى إنصافك بحكم الضمير والواجب ؟ ماذا أصنع وأنا أرى أنصارى فى مخاصمتك لا يملكون غير مضغ الأحاديث ؟ ماذا أصنع وأنا لا أرى بين رجال التعليم من يبدى رأياً صحيحاً أو سخيفاً فى مستقبل الحياة الأدبية والعلمية ؟

كنت أتمنى أن يشغل بمستقبل الثقافة فى مصر عشرات من الباحثين منهم شيخ كلية اللغة العربية وعميد دار العلوم ورئيس المجمع اللغوى ومدير دار الـكتب المصرية ؛ ولـكنك تفردت بذلك الإحساس الدقيق الذى يظهر فى اختيار الظرف المناسب لما تذيع من مذاهب وآراء؛ فإن بدا لبعض الناس أن يحسدك على هذا السبق فليسأل نفسه ماذا صنع بالإجازات الصيفية ، كما صنعت أنت بالأجازات الصيفية

أتريد الحق يا دكتور ؟

أنت رجل مقتحم ، ومن حق المقتحم أن ينتصر كما انتصرت

* * *

ولـكن ماذا فى كتابك الجديد ؟

هو فى جملته وتفصيله شاهد على أنك تقدر المسئولية الملقاة على عاتق عميد كلية الآداب . وأنت فى كتابك هذا قد فصلت ما يعترض مصر من المعضلات التعليمية أجمل تفصيل . وليس لـكتابك الجديد بريق الـكتب الأدبية ، ولـكن له جلال الـكتب التعليمية ، فتقبل منى ومن جميع المنصفين أصدق آيات الثناء

ثم ماذا ؟ — فى كتابك الجديد كثير من البديهيات، فهل ترى من الحق أن نحاسبك على التطويل فى شرح البديهيات ؟

من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يدلهم على أنهم فى تصورهم وعقليتهم يقتربون من إيطاليا وفرنسا أكثر مما يقتربون من الصين واليابان ؟ من الذى حدثك أن المصريين يحتاجون إلى من يذكرهم بأنهم قوم لهم عقول تدرك ما يدرك الأوربيون فى ميادين العلوم والآداب والفنون ؟

فى كتابك بديهيات كثيرة من هذا النوع ، فاستغن عنها إن شئت فى الطبعة التالية لئلا تسجل على وطنك جهل البديهيات

ثم ماذا؟ — قلت إن عقلية مصر عقلية يونانية، وصرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية. فاسمح لى أن أشكوك إلى عميد كلية الآداب، فعميد كلية الآداب وهو أستاذى وأستاذك ، واسمه طه حسين إن لم تخنى الذاكرة ، يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرناً وهى مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرناً فى ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين

عميد كلية الآداب الذى أعرفه أنا ، وإن تجاهلته أنت ،

يعترف بأن الاسلام رجّ الشرق رجّة أقوى وأعنف من الرجّة التي أثارتها الفلسفة اليونانية .

عميد كلية الآداب يثق بأن في مصر شمائل من العقلية اليونانية التي تلقت الدروس عن مصر الفرعونية . ولكنه مع ذلك يؤمن بأن لمصر عقلية إسلامية، وهذه العقلية الإسلامية لها خصائص يدركها أصغر مدرس في كلية الآداب. وأرجو ألا يضيق صدرك بهذه الحقيقة فقد نلتقي بعد أيام أو أسابيع وأشرح لك مالا يحتاج إلى شرح، كما تشغل نفسك بشرح مالا يحتاج إلى شرح

من المؤكد عندي أنك لم تستشر عميد كلية الآداب قبل أن تصرح بأن الإسلام لم يغير العقلية المصرية ، وذنبك في هذا التهاون عظيم لأنك قريب منه ، واتصالك به لا يجشمك أي عناء .

عميد كلية الآداب يعرف ، كما أعرف أنا وتعرف أنت ، أن الديانات تفترق ثم تجتمع ، وهي في روحها تحدث الناس بأسلوب واحد في أوقات الضعف، ولكن هـذا لا يمنع من أن هنالك خصائص للعقلية الاسلامية والعقلية المسيحية ، وهـذه الخصـائص تخفى على العوام ويدركها الخواص .

وكيف لا توجد هـذه الخصائص بين دينين مختلفين ، مع أننا نعرف أن هناك خصائص عديدة في الدين الواحد حين يختلف أهله بعض الاختلاف ؟

إننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص وللبروتستانتيـــة خصائص، لأننا نعرف أن للعقلية السنية خصائص وللعقلية الشيعية خصائص

فكيف جاز عندك ياسيدي الدكتور أن تتوهم أن الإسلام لم يغير العقلية المصرية بتغيير ولا تبديل؟

أنا لا أنكر أن مصر ورثت ما ورثت من علوم اليونان ، ولكني أنكر أن تكون مصر عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين إلى اليوم . هل تصدق حقاً يا دكتور أن المصريين أحسوا العقلية اليونانية بعد الإسلام إحساساً واضحاً صريحاً ؟

في الحق أن المصريين في حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان أكثر من عشرة قرون ، ولكنك وقد جلست على حصير الأزهر كما جلستُ تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك العلوم ؛ والأزهر لا يزال باقياً فتعال معي نسأل أهله ماذا فقهوا من علوم اليونان ؟ تعال معي يا دكتور لنقضي بين علماء الأزهر ساعة أو ساعتين فستراهم جميعاً معتقدون بأن العقلية اليونانية

من برجنا العاجي

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال في إظهار مواهبك الأدبية ؟ » هذا السؤال ألقته مجلة أدبية فرنسية على الروائي دورجليس فأجاب : « إن الرجل الذي يهجم على الأدب وهو مزود بتكوينه المدرسي وحده لا يمكن أن يكون غير كاتب ضعيف » . وقال الشاعر بول ڤاليري في مثل هذا المقام : « إن أساتذتي في المدرسة كانت لهم عن الأدب فكرة تدعو إلى الرثاء . يخيل إليَّ أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً في المناهج الدراسية » !

لو سئلت أنا أيضاً لما خرجت إجابتي عن هذا المعنى . فلقد فعلت المدرسة كل شيء لتنفرني من الأدب وتخيفني من اللغة فوضعت بين يدي أسمج الكتب العربية معنى وفكراً وأعسرها لغة وأسلوباً وأبعدها عن مخاطبة النفس المتفتحة لجمال الخليقة . لقد علمتني المدرسة كراهية الشعر العربي . وقد لبثت زمناً لا أطيق الإصغاء إلى بيت واحد من ذلك الشعر السخيف الذي أرغمنا على حفظه إرغاماً . شعر ليس فيه قطرة من ماء الشاعرية . إنما هو ضرب من تلك الحكم والمواعظ المنظومة التي لا كتها الألسن ومضغتها الأفواه حتى أصبحت « تفلاً » جافاً لا نفع فيه . تلك هي مادة غذائنا الذهني . أما إذا اجتهدنا فقرأنا كلاماً جيلاً خارج المدرسة فإنا لن نلقى من المعلم غير التجهم والاستنكار . وأذكر أن الأدب الإنجليزي أوحى إليَّ كتابة قصة تمثيلية صغيرة وأنا في المدرسة الثانوية فرفعتها فخوراً إلى مدرس الأدب العربي فكان جزائي الإهمال المهين . على أن من الإنصاف أن أذكر أن معلماً شجاعاً تجرأ يوماً فأطلعنا على أبيات عذبة رائعة للعباس بن الأحنف فأشرقت وجوهنا وانطلقت من قلوبنا آهة العصفور الذي أفلت من قفص وحلق في فضاء الطبيعة الباسمة الجميلة . فارتعد الدرس المسكين والتفت إلى باب القاعة خائفاً كأنه اقترف جرماً هائلاً . منذ ذلك اليوم أدركت أن هنالك كنوزاً في عالم الأدب والشعر يخفونها عن عيوننا المتطلعة .

توفيق الحكيم

هى التى قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين !

أنا لا أنكر قيمة التراث الذى خلّفه اليونان القدماء ، ولكننى أرتاب فى أنه وصل إلى ألفاف العقلية المصرية .

وأنت تعرف من نفسك ما أعرفه من نفسى ، أنت تعرف أننا لم نفقه الفلسفة اليونانية إلا بعد أن ارتضنا رياضةً عنيفة جداً. فإن ادعيت أنك فقهت فلسفة اليونان وأنت طالب فى الأزهر فأنا أقول إنى لم أفقه تلك الفلسفة حق الفقه إلا بعد أن تلقيتها على أساتذة أوربيين فى الجامعة المصرية. وما أظنك تتهمنى بقلة الذكاء

والعلوم التى لا تهضم إلا بعد جهد ومشقة لا تغير عقليات الشعوب وإن غيرت عقليات الأفراد

أنت تعرف فيما تعرف أن الفقه الإسلامى نفسه كان يتغير بالانتقال من أرض إلى أرض ، فكان للشافعى مذهب فى مصر ومذهب فى العراق . ومعنى ذلك أيها الأستاذ الجليل أن العقليات تتغير من وقت إلى وقت باختلاف ظرف الزمان ، وظرف المكان

والموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين ، والتى قضت بأن تنفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ؛ هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال إنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية

ولكن ما هى تلك العقلية الإسلامية؟ هى لونٌ آخر غير العقلية اليونانية بلا جدال، وهى لا تُشرح فى مقال واحد، وإنما يشرحها كتاب ينفق فيه رجل مثلك عدداً من السنين الطوال

وأنا مع هذا لا أنكر أن الإسلام فى مصر له خصائص غير الخصائص التى يجدها الباحث حين يدرس الإسلام فى الحجاز أو فى الشام أو فى المغرب أو فى العراق

وقد تعرضتُ لشرح بعض هذه الخصائص حين تكلمت عن صور المجتمع الإسلامى فى كتب الصوفية ، ولكنها ما تزال فى حاجة إلى درس أوفى من الدرس الذى يقع فى فصل من كتاب

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أزحزحك تماماً عن موقفك ، ولكنى موقن بأنى عرضت صدرك لشبهات ستوجب عليك الحذر حين تتكلم فى هذا الموضوع مرة ثانية ؛ وأنت تعرف ما أعنى

***

ثم ماذا؟ ثم ماذا ؟ ثم عرضت بالتفصيل لمشكلة اليوم وهى:

النزاع بين الأزهر ودار العلوم

ويجب أن يكون مفهوماً أنك ألّفت كتابك لغاية بريئة من الهوى لأنك عميد كلية الآداب ، وعميد كلية الآداب يشرع للناس مذاهب الحق. وقد تأملت كلامك فوجدته يحتاج إلى تصحيح

ولعلك تعرف أن هواى ليس مع الأزهر ولا مع دار العلوم ، وإنما هواى مع الجامعة المصرية ، والفرق بينى وبينك أنى لا أكتم هواى كما تكتم هواك . وما أعارضك فى هذه القضية إلا لأنك سلكت فيها مسلكاً يخالف العقلية التى صبغتنا بها الجامعة المصرية ، وهى التعمق فى درس الأغراض والمعانى

أنت وازنت بين الأزهر ودار العلوم والمعاهد الدينية ، وقام عندك الدليل على أفضلية الأزهر ، لأنه أخرج للناس : محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى عبد الرازق ؛ وأفضلية المعاهد الدينية لأنها أخرجت للناس : إبرهيم عبد القادر المازنى ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ؛ وسقطت عندك دار العلوم لأنها لم تخرج أمثال هؤلاء

صدقت يا دكتور بعض الصدق ، فدار العلوم لم يكن لأبنائها ماضٍ فى السيطرة على الحياة الأدبية على نحو ما يسيطر : هيكل ، والمازنى ، والعقاد ، وطه حسين ، والزيات

ولكن كلامك على صدقه أحزننى ، وليتك استشرت عميد كلية الآداب قبل أن تنشر هذا الكلام المحزن الموجع

أحزننى كلامك لأنه اصطبغ بالمغالطة والإسراف

أنت رجل معلم يا دكتور ، ومن العيب عليك أن تؤذى إخوانك المعلمين. أتراك تؤمن فى سريرة نفسك بأنك لم تحكم فى هذه القضية بغير العدل ؟

تعال أناقشك الحساب

إن رجال دار العلوم قد اشتغلوا جميعاً بالتعليم ، ومهنة التعليم تقتل الأديب أبشع القتل . وأين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يستوحى الحياة كما يستوحيها الأدباء الذين سيطروا على هذا الجيل؟

أين المعلم الذى تسمح له وزارة المعارف بأن يصف جمال السابحين والسابحات فى شواطئ الإسكندرية وبورسعيد، كما صنع الشاعر فلان؟

أين المعلم الذى يستطيع وصف الصراع بين الهدى والضلال بدون أن يخاطر بمركزه فى الحياة التعليمية كما وقع ذلك للدكتور فلان؟

أنت تعرف أنى جاهدت أعنف الجهاد لأخلق لنفسى شخصيتين :

شخصية المدرس وشخصية الأديب ، ومع ذلك لم أسلم من عدوان السفهاء

ومتى سيطر لطفى السيد على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك يوم كانت حياته خالية من قيود التعليم ، فلما صار مديراً للجامعة المصرية توقّر وتزمت حفظاً لحرمة التعليم

ومتى سيطر المازنى على الحياة الأدبية ؟

كان ذلك بعد أن ترك مهنة التدريس وتفرغ لاستيحاء الحياة ، ولو بقى المازنى معلماً لكان مصيره مثل مصير زميله عبد الرحمن شكرى الذى كان يحس مثل لسع العقرب كلما أشار كاتب فى جريدة إلى أن له أشعاراً فى الغزل والتشبيب

ومتى سيطر مصطفى عبد الرازق على الحياة الأدبية ؟

هل يعرف الجمهور شيئاً من تلك السيطرة ؟ وهل يجرؤ مصطفى عبد الرازق على إعلان ما كتب من الوجدانيات ؟

إن مصطفى عبد الرازق كتب أجمل ما كتب بإمضاء مستعار لا يعرفه غير الخواص ، وكان ذلك لأن حياته فى التعليم الدينى والمدنى قضت بأن ينسحب جهرةً من الحياة الأدبية

الحق يا دكتور أن رجال دار العلوم لا يطلب منهم إلا أن يكونوا معلمين صالحين ، وقد كانوا بالفعل

وهنا أوجه إليك كلمة مرة ستؤذيك أشد الإيذاء : من الذى زين لك أن تعتدى على الجنود المجهولين؟ أنت تعرف أن الفرنسيين يسمون التعليم Métier sans gloire

وما أشق من يعانى مهنةً بلا مجد !

لك يا دكتور زميل فاضل اسمه إبراهيم مصطفى ، وهو كالفراء سيموت وفى نفسه شىء من حتى

فهل يرضيك أن تتجاهل مثل هذا الرجل لأنه لم يسيطر على الحياة الأدبية ولم يشترك فى تكوين الجيل الجديد ؟

ومن الذى يسمع اليوم باسم أستاذى وأستاذك سيد بن على المرصفى وله علىّ وعليك فضل لا ينساه إلا الجاحدون ؟

أكتب هذا وأنا متألم متوجع لأنى أرى عميد كلية الآداب يتجاهل تضحيات المدرسين ، ولأنى أشعر بأن هذه الأحكام الجائرة ستسقط من ميزان الحسنات أعمالى فى التدريس . ولن يعرف الجمهور غير أعمالى فى التأليف وهى لم تكن إلا ثمرات ما انتزعت من أوقات الفراغ

وما أخافه على نفسى أخافه عليك يا دكتور ، فأنت هدف لحملات المتسفين الذين شرعوا يقولون إن إنتاجك الأدبى قلّ وضعف ، وهؤلاء الذين لا يذكرونك إلا يوم تخرج كتاباً جديداً ينسون كل النسيان أن لك شواغل تعليمية تفلّ نشاطك وتقل إنتاجك

وأين المنصف الذى يذكر أننا نحدث تلاميذنا بأشياء لو دوّنت لخرج منها محصول أدبى نفيس يغمر المكاتب ويشغل الأندية والمعاهد ؟ أين المنصف الذى يذكر أن من يسيطرون على الحياة الأدبية مدينون أثقل الدّين للمدرسين المجهولين الذين لا يعرف التاريخ أقدارهم إلا إن صاروا مؤلفين مشهورين ؟

لك يا دكتور زميل فاضل يعيش فى زاوية مجهولة من زوايا الخمول هو الدكتور أحمد ضيف ، وأنا أؤكد لك أن هذا الرجل يعدى صدور تلاميذه بالفكر والعقل ، وقد نفعتنى صحبته أجزل النفع ، ولكنه لا يستطيع أن يزاحمك لأنه لم يخرج من المؤلفات مثل الذى أخرجت. فن واجبك وأنت عميد كلية الآداب أن تضع للتقدير الأدبى ميزاناً غير ذلك الميزان ، من واجبك أن تذكر أن الجمهور الفرنسى لا يعرف شيئاً عن المسيو تونلا أو المسيو مورنيه ، ولكن أمثال هذين الأستاذين لهم تأثير عظيم فى تكوين الأذواق الأدبية وإن جهلهم سواد الناس .

وسيأتى يوم يتعزل فيه الدكتور طه انعزالاً تاماً عن الجمهور ويعتكف فيما يسميه الفرنسيون Cours fermés ليحقق مع تلاميذه بعض الدقائق الأدبية والفلسفية . ويومئذ يحتاج الدكتور طه إلى من يعتذر عنه أمام الجمهور فيقول إنه يحيا حياة العلماء لا حياة الأدباء . وهل يجهل رجل مثلك أن هنالك فرقاً عظيماً بين أستاذ الأدب وبين الأديب ؟

إن أستاذ الأدب تفسده الشهرة لأنها تشغله عن طول الأنس بالتعرف إلى الألفاظ والمعانى والأساليب . أما الأديب فيفسده الخمول لأنه يصدّه عن درس أسرار النفوس وسرائر القلوب ، ويعوقه عن معاقرة صهباء الوجود

وأنت بحكمك الجائر تنسى أساتذة الأدب ولا تذكر غير الأدباء ، لأنهم على حدّ قولك استطاعوا أن يسيطروا على الجيل الجديد . . . أترانى أفلحت فى إقناعك بخطأ رأيك ؟

قل الحق مرة واحدة يا سعادة العميد !

أترك هذه الخواطر ، ثم أرجع إلى محاسبتك بصورة غير تلك الصورة .

أنت قلت إن الأزهر يخرّج فيه محمد عبده وسعد زغلول

فهل تعتقد حقاً أن من طبيعة الأزهر أن يخرج رجالاً مثل محمد عبده وسعد زغلول ؟

إن كان ذلك صحيحاً فأين الأزهرى الذى خلف محمد عبده ؟ وأين الأزهرى الذى خلف سعد زغلول ؟

وما أقول به عن الأزهر أقول به عن المعاهد الدنية ، فابحث عن المنطق الذى يزكى حجتك إن استطعت ، وما أحسبك تستطيع

وقد وقفت فى كلامك عند الماضى وبعض الحاضر

فهل يحق لى أن أسألك كيف تجاهلت أقدار من أخرجت دار العلوم من الرجال الذين سيطروا على الحياة الأدبية ؟

أما يمكن أن يقال إن دار العلوم تخرج فيها عبد العزيز جاويش وحفنى ناصف ومحمد المهدى ومحمد الخضرى وعبد المطلب وعبد الوهاب النجار واحمد السكندرى ؟ أتظن أن هؤلاء لم يسيطروا على الحياة الأدبية حيناً من الزمان ؟

وقلت إن دار العلوم لم تغير نحو البصرة والكوفة ، فهل غيرت أنت نحو البصرة والكوفة وأنت أستاذ بالجامعة المصرية منذ عشرين سنة ؟

أنت رجل مقتحم يا دكتور ، وهذا أجمل ما فيك من شمائل وخصال ، فامض فى اقتحامك إلى غير نهاية ، فمصر لا ينجح فيها غير المقتحمين !

من حقك أن تدوس دار العلوم لأنك مقتحم ، وسيكون من واجبى أن أفرح بانتصارك ، لأنى متخرج فى الجامعة المصرية وسأقاسمك الغنائم والأسلاب ، فآخر شهادة ظفرت بها من الجامعة المصرية مذيلة بامضاءات أحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وطه حسين . ولكن يعزّ علىّ وعليك أن تنهزم دار العلوم بعد أن صنعت فى التاريخ الحديث ما لم يصنع الأزهر ولا الجامعة المصرية ، مع الاعتراف بفضل هاتين الجامعتين العظيمتين

يعزّ علىّ وعليك يا دكتور أن ينهزم معهد كان من رجاله أساتذتى وأساتذتك . أنت تعرف يا دكتور أن كلية الآداب انتفعت بأساتذة دار العلوم

وتعرف يا دكتور أن كلية اللغة العربيـة انتفعت بأساتذة دار العلوم . فأرجوك باسم الأدب العالى أن تذكر ذلك المعهد بكلمة رثاء يوم يموت !

أيها الأستاذ الجليل

فى كتابك كثير من مواطن القوة ، ولكن يعوزه المنطق أنت تتحسر أشد التحسر على الفرصة التى ضاعت على دار العلوم فى الانضمام إلى الأسرة الجامعية

ولكنك نسيت أن سلامة دار العلوم هى فى البعد عن تلك الأسرة الجامعية . وأنت نفسك تذكر أنك قلت غير مرة إنك لا تفهم أن يكون فى الجامعة باب يُغلق بعد ابتداء الدرس

فما رأيك إذا حدثتك بأن دار العلوم معهد لا يقل خطراً عن المدرسة الحربية ، وأن من الواجب أن يراعى فيه نظام المواظبة بالثوانى لا بالدقائق ؟

ما رأيك إذا حدثتك بأن طلبـة دار العلوم يجب أن يُراضوا على الأنظمة العسكرية فلا يعرفوا من الحرية الشخصية ما يعرف أمثالهم فى كلية الآداب ؟ يجب أن يكون مفهوماً بينى وبينك أننا لا نفكر فى منافعنا الذاتية ، فأنا أدفع ما يتهمك به خصومك من حب السيطرة على أكبر عدد ممكن من المعاهد

وإذا يكون من المنفعة الوطنية أن نفكر جميعاً فى إعداد معلم اللغة العربية إعداداً فنياً ، لا جامعياً ، فإن لم تكتف بذلك فلا بأس من أن نقترح أن يظفر مدرس اللغة العربية بدرجة جامعية بعد التخرج فى دار العلوم على الأساليب التعليمية

وتجاربى فى التفتيش أقنعتنى بصحة ما أقول ، فقد لاحظت أن المدرسين المتخرجين فى كلية الآداب يتفوقون فى أشياء ويقصرون فى أشياء ، كما لاحظت أن المتخرجين فى دار العلوم يتفوقون فى أشياء ويقصرون فى أشياء ، ولذلك تفصيل يضيق عنه هذا الحديث ، فإن أمكن أن يجمع مدرس اللغة العربية بين المزيتين كان لذلك أثر بالغ فى تكوين الجيل الجديد

وهذا الذى أقول به لا يوجب إلغاء دار العلوم ولا تغيير نظام كلية الآداب ، وإنما يوجب أن يتعرف هذان الجيلان بعضهم إلى بعض بلا بغى ولا عدوان

ويظهر من كلامك أنك راض كل الرضا عن الجامعة المصرية ، ولكنك نسيت أن هذه الجامعة لم تصنع شيئاً فى إصلاح ما سيطرت عليه من المعاهد العالية

هل تعرف يا سعادة العميد أن لغة التدريس فى كلية الطب هى اللغة الانجليزية ؟

وهل تعرف أن لغة التدريس فى كلية العلوم هى اللغة الانجليزية ؟

لقد نشرتُ أكثر من سبعين مقالة فى دعوتكم إلى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع المعاهد العالية فلم تقابلونى بغير الصمت البليغ . وكانت النتيجة أن تسبقكم الجامعة الأمريكية فى بيروت إلى تحقيق هذا الغرض النبيل

وتكلمت يا سعادة العميد عن وجوب الإكثار من الترجمة ، وكان الظن أن تذكر أنى استطعت مرة أن أقنع وزارة المعارف بوضع نظام لخريجى البعثات يوجب ألا يظفر المتخرج فى البعثات بأية ترقية إلا بعد أن يترجم كتابين من غرر المؤلفات الأجنبية فى العلم الذى تخصص فيه . وقد أقرت وزارة المعارف ذلك النظام وأعلنته إلى مبعوثيها فى المعاهد الأوربية والأمريكية ، ويقول المرجفون إنك ساعدت على تقويض ذلك النظام بمعونة رجل من أصدقائك تولى وزارة المعارف ، وكان ذلك فيما يقال لأنه نظام اقترحه رجل اسمه زكى مبارك وأقره وزير اسمه حلمى عيسى باشا

فهل يكون معنى ذلك أن الخير لا يكون خيراً إلا حين تقترحه أنت ويقره وزير من أصدقائك ؟

ونسيت ياسعادة العميد أن كلية الآداب تقول أكثر مما تفعل، فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى أين مجلة كلية الآداب التى لم نر منها غير ومضات ؟

ونسيت أيضاً أنك تقول أكثر مما تفعل ، فأنت تدعو الدولة إلى إعفاء الأدباء من أعمالهم الرسمية ليتفرغوا للبحث والدرس ، ثم ننظر فنراك تساعد الدولة والدهر على ظلم الأدباء

فإن لم يكن ذلك صحيحاً فحدثنى كيف اتفق ألا تتحدث فى الإذاعة اللاسلكية ولا تكتب فى الجرائد إلا عن مؤلفات من تصطفيهم من الباحثين ، مع أنك مسئول بحكم منصبك العالى عن الخلوص من شوائب الأهواء ؟

كان الظن أن تذكر أن من واجب الجامعة المصرية أن تحاسب نفسها قبل أن تحاسب الناس ، ولكنك على كل حال مغفور الذنوب لأنك تتكلم فى أوقات يراها غيرك أوقات صمت وجمود

أما بعد فإنى أعتقد أنى نوهت بكتابك وبأعمالك أعظم تنويه ، فإن رأيت فى كلامى بعض ما لا يروقك فاعذرنى ، فقد أخذ علينا العهد ألا نقول غير الحق . وهل علمتنا الجامعة المصرية أن نصانع من يظنون أنهم يملكون من السيطرة الأدبية أكثر مما تملك ؟

سترى كيف نروضك على الاقتناع بأن القول المعسول لا يغنى عن الصُّنع الجميل

« مصر الجديدة » زكى مبارك

دعـــه كله يذهب

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

دعِ الحلم يذهب . اطمئن ولا تتزايل أعضاؤك من الفَرَق . أفليس فى طيّات السُّحُب المتلبدة من الأحلام الأخرى المستورة عن ناظريك ما تستطيع أن تكسوه بعد ، بشعاعات نورانية ، وتذهّب أطرافه بومضات وهاجة تخترق بلألائها حجب الغمام الكثيف وتطرد جهامه القاتم ، وتمحو ركامه الداكن ؟

فما قيمة حلم يفوتك ، من أضغاث الليل الضائعة ؟

ألاَ دع ذلك الحلم الزائل يذهب

دع الأمل يغرب . تشجع . لا تجبن ولا تتقاعس. أفلا يدّخر لك الغيب فى أطوائه آمالاً أخرى لا تلبث أن تطفو فى بحرَ الدجى كالكواكب الزاهية ، وتذكى مصابيحها فى آفاق سمائك !

إن النفس المستبشرة المؤملة لن تعيّث طويلاً فى بيداء الدياجير المهددة العابثة ، بل لا بدّ أن تضفى عليها العلياء نوراً جديداً . فما أشدها جهالة أن تحسب أن سعادتك قد تولّتْ ، لأنك عدت قانطاً من رجاء واحد؟

ألا دَعْ ذلك الأمل الضائع يغرب

دع الفرح يذبل ويذوى : لا تحزن ولا ترتمِض . أفلم تبقَ أفراح أخرى تشبه البصيلات التي يعتقلها الصقيع حيناً ، ثم يأمر ربّك أن تنطلق من إسارها ، وتخرج شطأها وتنوّر ؟

أو ليس من شأن الشتاء العاصف الصارم أن يرسو على الجذور القوية بكلا كله القاسية ، فيتلفها ويواريها فى غيابات أرماسه الصامتة ، وأجداثه المظلمة الخفية ؟

وهل تعنّى الأرض تلك الفترة الوجيزة التى تتجرّد فيها من وشيّها ومطارفها !

ألا دع ذلك الفرح المدبر يذوى ويذبل

دع الحب يقضى أجله ويمضى لسبيله . كن قوىّ الإيمان ولا تيأس، بل سرّ عنك . أفلا توجد محبّات أخرى بعد تحاكيه فى جماله ، وفيما تزخر به من صنوف العذاب العذب ؟

ألا توجد محبّات أخرى ترفرف فى الفضاء كالحمائم البيضاء ، ولا تلبث أن تحوم حولك ، وتجسم فى صدرك وتعشش !

فتقول فى كلّ منها : « إن هذه لخير من تلك »

ألا دع ذلك الحبّ الراحل يمضى لسبيله (الزهرة)

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكري

بلغ المتنبي ما لم يبلغه شاعر آخر من الشهرة . وقد اهتم له النقاد الأدباء قديماً وحديثاً ، وكتب عنه كثيرون من أفاضل الأدباء وأكابرهم في عصرنا هذا . وقد عنى بعضهم باستنباط أخلاقه من شعره ، وبعضهم أغرى بتتبع نسبه وتاريخ حياته وأسرارها وأسباب حوادثها ، وبعضهم نظر إليه من حيث هو الشاعر الذى يمثل العرب خير تمثيل وينوب عنهم في الإبانة عن خصائص نفوسهم ونزعاتها ، وبعضهم عُنى بحكمته ونظراته في النفس والحياة، ومنهم من راقته مبالغته التي اشتهر بها في المدح أو الفخر ، ومنهم من راقته أساليب التشبيه التي أُغرى بها أهل زمنه ، وقدموه من أجلها في ظاهر ما يحسبون ويحسون . وإذا تأملت سبب إعجاب المعجبين به ، وجدته يختلف باختلاف أذواق المعجبين به واختلاف نظرهم إلى الشعر كما تختلف أسباب المهتمين بدراسة سيرته ، وإذا نظرت في شعر المتنبي وشعر غيره من كبار الشعراء وجدت شاعراً قد يماثله أو يبزه في صفة ، ويماثله أو يبزه شاعر آخر في صفة أخرى من صفات الجودة ، وهو بالرغم من ذلك أوفر نصيباً من الشهرة . وترى لغيره من الشعراء أبيات كثيرة في الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، تدل على فطنة بالنفس ، وخبرة بالحياة ، وتوفيق في الصنعة ؛ ولكنها لم تسر كما سيّر المتنبي شعره في هذه المعاني . فالبحتري أكثر منه نصيباً من طلاوة الصنعة ، وأبو تمام من أساليب البيان ، والشريف من الوجدان وسلامة الفطرة ، وابن الرومي من الأوصاف ، والمعري من النظرات في الأخلاق والحياة ، ولكن ما من دوىّ آثاره أحد هؤلاء إلا ويخفت بجانب ما أثار المتنبي حتى ليصدق فيه قوله :

وتركك في الدنيا دَوِيّاً كأنما   تداول سمعَ المرء أنمُله العشر

وقد تتبع النقاد[1] قوله أحياناً بالتزييف ، وإظهار السيئات من معاظلة والتواء في بعض قوله ، وبالتقصي للسرقات والمآخذ ، أو ما ظنوا أنه سرقات ومآخذ . حتى حاول بعضهم رد كل معنى من معانيه إلى شاعر سابق . وبعض النقاد أُولع بإظهار ما في مغالاة مدحه من التهكم المقصود أو فساد الذوق غير المقصود . وبعضهم أظهر ما في مغالاة المدح من إلحاد أو شبه إلحاد ، وما في استطالته بالفخر من كفر أو شبه كفر ، واستشهدوا بقوله :

وكل ما قد خلق الله   وما لم يخلق

مُحتقرٌ في همّتي   كشعرة في مفرقي

وقالوا إنه كان يظهر الشك بالبعث والحياة الأخرى كما في قوله :

فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكّرَ في الدنيا ومهجته   أقامه الفكر بين العجز والتعب

وقالوا إنه تعدى منزلة الشك في هذه الأبيات الذى يشبه الإنكار المُقنّع إلى منزلة إثبات النفى المُقنّع في قوله :

تمتّعْ من سهادٍ أو رقادٍ   ولا تأملْ كرى تحت الرجام

فإنّ لثالث الحالين معنى   سوى معنى انتباهك والمنام

وثالث المعاني التي يدركها العقل بعد معنى الانتباه ومعنى المنام هو معنى الفناء والعدَم . والمتنبي يلجأ إلى عقل القارئ في تأمله فهو إذاً يريد المعنى ولا معنى غيره . وبعض النقاد أشار إلى شدة حقده على الناس وقسوته في قوله :

وكُنْ كالموت لا يرثى لباكٍ   بكى منه ويروى وهو صادى

وقوله :

ومن عرف الأيام معرفتي بها   وبالناس روّى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به   ولا في الردى الجارى عليهم بآثم

ولكن كل هذا النقد لم يسقط الرجل من منزلته ، فلأى أمر تبوأ هذه المنزلة ؟ إنه لا شك في مقدرته في الشعر وإن له من صفاته باعا فيه ، فهو بالرغم من معاظلته أحياناً يجيد أساليب البيان كأحسن ما يجيء به أبو تمام وأحياناً . يأتي بالأساليب الحلوة كأحلى ما يجيء به البحتري ، وإن كان إتيانه بها عفواً من غير تعمد وتكلف ، ولكن كل هذه القدرة في القريض وما عدته فيه من صفات الجودة جاءها أمر واحد وهو الروح الخاصة التي تظهر فيما له صلة من شعره بآماله وخيبتها وتفيض على ما ليس له صلة مباشرة بتلك الآمال ، فتعم إذا هذه الروح كل شعره وتكسبه (جاذبية

(١) الثعالبي فصل عنه في كتاب (يتيمة الدهر) . وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه مما يرجع إليه من الكتب . هذا عدا مؤلفات ومقالات كبار أدباء هذا العصر ، وهى لا تقل عن الكتب القديمة إن لم تكن أوفى

الشخصية) وجاذبية الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها وجاذبية لذة البيان المُعبِّر عنها . ولأكثر الشعراء نصيب منها ، ولكن نصيب المتنبي أوفر نصيب. وهي أيضاً التي بصرته بدخائل النفس الإنسانية وأسرارها وعيوبها كي يتخذ من تلك البصيرة بالنفس الإنسانية عامة سلاحا يساعده في الاعتزاز ، والاعتداد بنفسه فاعتداد المتنبي بنفسه إذا سبب طلاوة شعره وسبب حكمه وأمثاله وسبب ما يشعر القارىء في شعره من القوة . وقد تكون روح الاعتداد بالنفس مصحوبة بالتقحم والاقدام والفخر والادعاء كما كانت في حياة بِنْفِنوتو سِلِّيني المَثَّال الإيطالي الذي كتب تاريخ حياته وهو مملوء بالمغامرة والمخاطرة والإجرام وبالفخر العريض والادعاء، ولكنه كتاب يستهوي القارىء بسبب ما أكسبه اعتداد صاحبه بنفسه من جاذبية وطلاوة وقوة في الكتابة . وقد تكون هذه الصفة عند رجل مفكر في نفسه غير متقحم ولا مستطيل ولا مُدَّعٍ فتكسبه أيضاً صفات الكاتب الذي يستهوي قلمه القارىء؛ فإن اعتزاز مونتاني الكاتب الفرنسي بخواطر نفسه وحوادث حياته اليومية واللذة التي وجدها في قيدها ووصفها تستهوي القارىء بعدوى الشخصية ومغنطيسها. فعدوى الشخصية في نظري هي الصفة الغالبة التي ميزت شعر المتنبي، وهي التي ميزت ترجمة بِنْفِنوتو سِلِّيني لحياته وميزت مقالات مونتاني الفرنسي. ويشترط في وجود هذه العدوى أن تكون شخصية صاحبها ذات هبات عقلية ونفسية طبيعية، والعدوى قد تظهر بين الناس في مقدار أقل حتى ولو كانت الشخصية المعتد بها المعتز بها صاحبها قليلة الهبات العقلية ؛ وهذا أمر مشاهد في حياة الناس اليومية وتأثير بعضهم في بعض في أعمالهم وأخلاقهم وأفكارهم ومذاهبهم وصداقاتهم وعدواتهم ، فالناس إذن خليقون أن يهتموا للشاعر أو الكاتب الشديد الاعتزاز والاعتداد بنفسه. وقد يهتمون له أكثر من اهتمامهم لشاعر أو كاتب آخر أقل اعتداداً بالنفس وأكثر هبات عقلية ونفسية، فليس اهتمام الناس للشاعر أو الكاتب إذاً على قدر هباته العقلية وحدها كما يظن المعجبون به الذين يستهويهم اعتداده بنفسه ، وللشاعر هيني الألماني كلمة حكيمة في هذا الموضوع وهي كلمة مأثورة في هذا المعنى فقد قال: « إن الانسانية كالشجرة ، فالشجرة لا تحفظ ذكرى الأيدي التي تعهدتها بالري والعناية وإصلاح التربة والصيانة من العواصف والأضرار والرياح، ولكنها تحفظ ذكرى اليد المعتدية التي تأخذ خنجراً وتحفر اسم صاحبها على ساقها بالنحت والتكسير من غلافها والسطو عليها ، وكذلك الإنسانية قلما تحفظ ذكرى الذين ضحوا في خمول وسكوت لأجل رعايتها والعناية بها ؛ ولكن الإنسانية تحفظ ذكرى الغزاة المدمرين الذين نقشوا أسماءهم على جبهة ذاكرتها بأحرف من نار وبالسطو عليها وبالاهلاك والتدمير وإراقة الدماء . وهذه شواهد متطرفة تدل على اهتمام الناس بالمعتد بنفسه. ولا نريد أن نقول إن الشعراء والكتاب الذين يبالغون في إظهار الاعتداد بالنفس هم مثل هؤلاء الغزاة المدمرين في شرهم، وإنما نعني أن ظاهرة الاعتداد بالنفس تستدعي اهتمام الناس في الحالتين. ومع ذلك فإن رجلاً كالمتنبي ما كان يتأخر عن إراقة الدماء والتدمير في سبيل تحقيق آماله كما يشهد الكثير من شعره . وقد صرح بذلك في أكثر من قصيدة كما في قوله :

بكلِّ مُنْصَلِتٍ ما زال مُنْتَظِري ... حتى أَدَلْتُ له من دولة الخَدَمِ

شيخٍ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ... ويستحل دم الحجاج في الحَرَمِ

تُنْسي البلادَ بُرُوقَ الجوِّ بارقتي ... وتكتفي بالدم الجاري عن الدِّيَمِ

وهذا تصريح ليس بعده تصريح. والحقيقة أن تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس حتى ولو بلغ الإجرام لا يقل في كثير من الأحايين عن تقديس الإنسانية للفضائل ، بل قد يكون أعظم من تقديسها للفضائل ، إذ أن تقديسها للفضائل كثيراً ما يكون نفاقاً ورياء أو رغبة في الانتفاع من وداعة الفاضل واستكانته وترفعه عن الدنيا بينما يكون تقديس الإنسانية للاعتداد بالنفس ومظهره في غيرها عذراً لها في تقديس مظهره في نفسها وتقديس أثرتها، فتجمع بين لؤم الأثرة وقداسة العبادة بتقديس مظهر الاعتداد بالنفس في غيرها. وقد تحتال للجمع بين هذين المتناقضين بأن تنسب إلى المُعْتَدِّ بنفسه النبل والجلال وكرم الشمائل والمروءة ، وهو قد يكون خلواً من هذه الصفات أو على الأقل يكون خلواً من مقاديرها التي تنسبها إليه كي تجمع بين لؤم الغريزة وتقديس

الفضائل. وهذا أمر يشاهد كثيراً بين الناس، ولعل هذا الشرح يفسر كيف أن الناس كثيراً ما يحاربون الفضلاء وينتقصونهم مع معرفة فضيلتهم وهم يقدسون الفضائل فى كلامهم ، وكيف أن الناس كثيراً ما يجلون صاحب الرذيلة إذا لم يضطروا إلى مؤاخذته اضطراراً ، وإذا كان معتداً بنفسه وكانت فى لسانه خلابة أو له قدرة وسلطان . فإذا كان هذا شأن النـاس مع من قلت فضيلته من المعتدين بالنفس، فكيف لا يكون إعجابهم أعظم بمن جمع إلى الاعتداد بالنفس فضائل وبياناً وفصاحة تستهوى القارئ؟ وكثيراً ما يضع القارئ نفسه فى منزلة نفس القائل المعتد بشخصه ويشاركه فى آماله وأطماعه وإحساسه واعتزازه بنفسه ، ويشاركه فى خواطر نفسه وحالاتها كما يفعل القارئ أيضاً عند ما يقرأ قصة لكاتب فيضع نفسه فى مكان بطل القصة الموصوف الذى يعجب به القارئ.

وقد يفعل بعض القراء ذلك حتى فى قراءة قصص مشاهير المجرمين الذين يعتدون ويعتزون بأنفسهم إلى حد الإجرام . وهذه شواهد متطرفة لهذه الظاهرة النفسية وجاذبية الاعتداد بالنفس تختلف باختلاف الكاتب وباختلاف نفوس القراء المتأثرين بها . وهذه الجاذبية كالمعدن السائل الذى يسيل بمقادير متفاوتة مع ماء الينابيع التى لا تتفاوت فى مقادير مياهها السائلة؛ فالشعراء والأدباء قد لا يختلف مقدار نتاجهم مع اختلاف فيض ينبوع معدن الجاذبية فى قولهم، وعلى قدر ما فى قولهم من جاذبية وبيان الاعتداد بالنفس يكون قدر تأثر القراء بهم فإذا قرأ قارئ قول المتنبى :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى ... فلا أعاتبه صفحاً وإهوانا
وهكذا كنتُ فى أهلى وفى وطنى ... إن النفيسَ غريبٌ حيثما كانا

تلمس تلك النفس واكتسب شيئاً من إحساسها بالنفاسة والقدرة على الاعتزاز بنفاستها وأحس ما رأته النفس الموصوفة فى حياتها من صفح وإهوان؛ وهو قد يكتسب كل هذا الشعور أثناء قراءته قول الشاعر من غير فطنة له ، فهو فى رحلة نفسية، إما فى مسالك العقل الظاهر وإما فى مجاهل العقل الباطن. وكذلك إذا قرأ قول المتنبى :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما مِنْ صداقتِهِ بُدُّ

خليلاى دون الناس حزن وعبرة ... على فقد من أحببت مالهما فقد
وأكبرُ نفسى عن جزاء بغيبة ... وكل اغتياب جهد من لا له جهد
وأرحم أقواماً من العى والغبى ... وأعذر فى بغضى لأنهم ضد

سافر سفرة فى عالم التجارب النفسية وبين الأحياء ولو لم يكن على صفات الشاعر النفسية ويلتذ التجارب الخلقية بالتذاذ ما يعبر عنها من البيان . وكذلك إذا قرأ قول المتنبى :

إذا غامرتَ فى شرف مَرُوم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير ... كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة فى المرء تُغنِى ... ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم

أحس أن حكمة الشاعر فى التمييز بين عقل العجز والجبن وبين عقل الفطنة المقرونة بالشجاعة والطموح ليست حكمة الشعر التعليمى أو الوعظى ، وإنما هى حكمة الخبرة والتجارب والفطنة المقرونة بالطموح إلى الآمال السامية ، وهو ذلك الطموح الذى كان من مظاهر الاعتداد بالنفس عند المتنبى ، وهذا ما يلمسه القارئ فى باقى حكمة المتنبى فيسلم نفسه للشاعر يتصرف بها أثناء قراءة شعره حسب بيان خبرته وحكمته وآماله وآلامه ، وإذا قرأ قول المتنبى :

وخِلة فى جَلِيسٍ أتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان فى الوَهْنِ
وكِلمةٍ فى طريقٍ خفت أعربها ... فيهتدَى لى فلم أقدر على اللحَنِ
كم مخلص وعُلًى فى خوض مهلكة ... وقتلة قُرِنَتْ بالذم فى الجبن
لا يُعْجِبَنَّ مضيما حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

(البقية فى العدد القادم)

عبد الرحمن شكرى

مولد الليـــل

للأستاذ محمود الخفيف



مولد الليل

(تصوير الدكتور أحمد موسى)

شَرِبَتْ كُدْرَتُهُ لَوْنَ الشَّفَقْ
فَامّحى إلاَّ بَقَـايَا فى انطِفَاءْ
اكْتَسَى الماء بِأَمْوَاجِ الْغَسَقْ
وَمَضَتْ تَمْسَحُ كَفُّ الدُّجى
من حَوَاشِى الأفقِ مَا أَبقى المَسَاءْ

تحسِرُ الأحداقَ فى هذا الغروبْ
رَوْعَةٌ لِلْقَلْبِ فِيـهِ والبَصَرْ
يا لِبِشْرٍ فِيهِ يَمْحُوهُ القُطُوبْ
يا لِأَطْيَـافٍ بِهِ حَائِرَةْ
وَصَفَاءٍ مَا صَفَى حَتَّى اعْتَكَرْ!

مُجْتَـلًى بَالِغَةٌ رَوْعَتُـهُ
لاتَمَلُّ العَيْنُ فى الأُفُقِ رُؤَاهْ
مَلأتْ نَفْسِى بِهِ فِتْنَتُـه
لَحْظَةً، ثم انطَوَتْ أطرَافُهُ،
وَمَشَى اللَّيلُ عليه فَمَحَـاه

رَاقَ هَذَا الغَرْبُ حَتَّى خِلْتُهُ
مَشْرِقَ الصُّبْحِ اجْلَى للنَّاظِرِين
فى جَنَانِى بَعْضُ مَا أَلْهَمْتُهُ،
خاطِرٌ طَافَ بِرُوحِى سِحْرُهُ
لَيْتَ شِعْرِى مُفْصِحٌ عنه مُبِين

يَتَنَاهَى أبدًا سِحْرُ الجَمالْ
ويروعُ الطَّرْفَ والقَلْبَ مِمَّا
مَا تَغَشَّتْهُ من المَوْتِ الظِّلالْ

فَمَضَى يَقْرُبُ من غَايَتِهِ
فَتَهَاوَى فَتَبَدَّى أَرْوَعَا!
هكذا اللَّحْنُ انْقَضَى أَوْ أَوْشَكَا
وجبينُ النَّجْمِ يَغْشَاهُ الأُفُولْ
هكذا الزَّهْرُ إذا الزَّهْرُ زكا
وتَمَشَّى السُّقْمُ فى نُضْرَتِهِ
فَبَدَى بَيْنَ نَمَاءٍ وذُبُولْ

هكذا المِصْبَاحُ عِنْدَ الغَلَسِ
رَاحَ يَطْوِي نُورَهُ طُولُ السُّهَادْ
وَبَقَايَا خِلْسَـةِ المُخْتَلِسِ
تَرَكَتْ نَشْوَتُهَا نَارَ الجَوَى
فى الحَشَا بَيْنَ خُمُودٍ وَاتِّقَادْ

هكذا الشَّمْسُ تَغَشَّاهَا الطَّفَلْ
فَتَرَاءَتْ كَنُضَارٍ فى عَقِيقْ
وَمَضَتْ تَرْفُلُ فى أَبْهَى الحُلَلْ
تَنْهَلُ الأَلْحَاظُ مِنْ رَوْنَقِهَا
وتَعُبُّ الرُّوحُ من هذا البَرِيقْ

يا جَمَالاً هَاجَ لِلْقَلْبِ الشَّجَنْ
أَبْهَجَ النَّفسَ سناهُ وَشَجَاهَا!
صَوَّرَتْ كُدْرَتُهُ معنى الحَزَنْ
كيف مَسَّتْ مُهْجَتِى ظُلْمَتُهُ
فَمَحَتْ فى النفس أحْلامَ مُنَاهَا

الخفيف

(البقية على صفحة ١٦٤)

صحائف من تاريخنا القومى

الغــــرب يتجنى

للأستاذ أحمد خاكى

حينما يستشرف المؤرخ القومى لأخريات القرن التاسع عشر ، ومبدأ القرن العشرين ، يرى فى مصر مدرسة من مدارس الفكر والسياسة جديرة بأن تذكر بين الأفراد القلائل الذين قادوا فى تاريخنا القومى . وكانت هذه الفترة فى تاريخنا هى الفاصلة بين حياة من الاستعباد المقيم ، وبين حياة أخرى من الحرية والمجد . وقد استطاعت القومية المصرية أن تحيا خلال تلك السنين السود على الرغم مما اعتورها من أطماع الإمبراطوريات المستعمرة ، وعلى الرغم من فترة الركود التى تثاقلت على أفئدة المصريين بعد الفشل الذى أصاب الثورة العرابية . وإذا انتزع المؤرخ نفسه من غمار الحوادث التى قامت فى مصر منذ مبدأ القرن التاسع عشر حتى اليوم ، استطاع أن يشهد للقومية المصرية وحدة خاصة تبدأ منذ اليوم الأول الذى خطا فيه نابليون فى بلادنا المقدسة ، وتظل مجدة جاهدة تصيب النجاح فى أحيان ، ويصيبها العثار فى أحيان أخرى

على أن فى دراسة القومية المصرية فى الفترة التى تلت الثورة العرابية كثيراً من العظات والعبر التى ينبغى أن ننعم النظر فيها . ذلك بأن حياتنا الاجتماعية والسياسية تقوم على الأسس التى بناها سلفاؤنا فى أعقاب القرن التاسع عشر ؛ بل كثير من النقائص التى ما زالت تميز كياننا الاجتماعى ترجع إلى تطورنا أثناء ذلك القرن . وهذه الفترة الخطرة هى التى تقى فيها الغرب والشرق على أساس من سوء الظن والاستغلال ، وهى كانت الفترة التى بلغت فيها الفكرة الإمبراطورية عندانجلترة وفرنسا أكثر مابلغت، فكان ضحاياها بلاد الشرق الأدنى ، وبلاد المغرب الأقصى ، وغير أولئك وهؤلاء من سكان إفريقية وآسيا . وإذا كانت مصر قد استطاعت أن تتخفف من تلك القيود التى ضربت عليها فى سنة ١٨٨٢ فإنما ذلك لأن القومية المصرية كانت شديدة المراس شديدة البأس

وقد بدأت الحركة القومية فى مصر فى زمن نابليون ، وأنتجت تولية محمد على فى سنة ١٨٠٥ . على أن القومية لم تصبح أملاً من آمال الشعب إلا فى سنة ١٨٨٢ ، حين قام عرابى وصاحباه يحتجون على تفوق العنصر الجركسى والتركى فى الجيش ، وسوء المعاملة التى يلقاها المصريون . كان هذا سبباً من أسباب الثورة، إلا أن الثورة الفكرية كانت عنيفة فى نفس كثير من المصريين . فإن البلاد كانت قد أوتيت قليلاً من العلم ، وكانت تعاليم جمال الدين الأفغانى الذى نزل مصر سنة ١٨٧١ قد بدأت تزدهر . وظهرت الجرائد وكونت رأياً بين الخاصة ، وكان الجيش وعلماء الأزهر أقوى هؤلاء . فكانت الثورة التى حمل لواءها عرابى باشا ، وقد اقترنت الثورة بخليط معقد من العناصر . فقد كانت مسلمة ، وقد كانت دستورية ، وقد كانت تنفس على الأجانب ما حازوه من سطوة ، وما ينعمون به من متاع الوظائف وبسطة النفوذ

على أن الثورة العرابية لم تكن مستنيرة شجاعة على الرغم مما انطوت عليه من عناصر . ذلك بأن العسكريين الذين ملكوا أزمتها لم يدركوا الخطر المحقق الذى تنطوى عليه خطة العداء للخديو ؛ ثم إنهم لم يكونوا عسكريين بالمعنى الذى نفهمه الآن من تلك الكلمة ، فلم يكن لهم قوة التنظيم ولا المصابرة على أنواع الجهاد . حتى عرابى نفسه لم يستطع أن يتصرف فى موقفه تصرف الجندى المغامر . ولو أنه أراد النجاح بأى ثمن لما تردد لحظة واحدة فى القبض على الذين اشتبه فى خيانتهم ، ولا تردد فى سد قناة السويس حتى يقطع السبيل على الإنجليز . ثم إن الجيش الذى كان يأتمر عليه عرابى لم يكن إلا فلول الجيش الآخر الذى انتصر أيام محمد على وإسماعيل لأن الوسيلة التى كانت تتبع فى جمعه كانت وسيلة منفرة شائنة ، ويكفى أن الجنود كانت تؤخذ قسراً من القرى والدساكر تحت لهيب السياط

لكن العنصر القومى الذى بدأ بالسيد عمر مكرم أيام محمد على ما زال يدب فى أوصال البلاد دبيباً خفيًّا لا يكاد يسمع له ركز حتى تمثل فى حركة الإصلاح التى قامت بعد أن هدأت الثورة العرابية وبعد أن استقرت الأمور . ذلك العنصر هو الذى تمثله المدرسة الفكرية التى بدأها جمال الدين ، وكانت قد وقفت تلك المدرسة تنتظر حينما فشل عرابى وتشتت من أعضائها أفراد

كثيرون . لكنها أقبلت على الحياة بعد استقرار الثورة وهى مؤمنة بحق مصر فى الحياة العامة على الرغم من الاحتلال البريطانى الذى ابتليت به البلاد وعلى الرغم مما أصاب الحزب العسكرى من وهن . وقد احتكت هذه الفئة الجديدة بالتفكير الأوربى فاستوعبت كثيراً من الأفكار الغربية من مصادرها الأولى ، وازدهرت هذه الفئة فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبلغ من تقدير اللورد كرومر لهم أن قال : إنهم كانوا يشبهون الجيروند فى فرنسا . والحق أن كثرتهم كانت تشبه الجيروند فى تعلقهم بالمثل الأعلى وفى إيمانهم بسمو الفكرة وفى الثقافة والشجاعة والإخلاص

كان بين هؤلاء الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وانضم إليهم قاسم أمين وسعد زغلول . وقد اجتمع هؤلاء لا على أن يكونوا حزباً سياسيًّا ولا ليدافعوا عن فكرة خاصة عينوها ، وإنما هى الحوادث والميول ربطت بين قلوبهم . وكانت الوطنية المصرية قد فقدت قليلاً من الثقة حين ضعضعها الفشل بعد الثورة لكنها بدأت تلتئم رويداً رويداً فابتنيت على أسس أخرى غير التى قوضتها الثورة . ونمت فى أعقاب القرن الماضى تلك الفئة المثقفة التى مثلت فى مصر نفس الدور الذى قامت به الطبقة الوسطى المستنيرة فى انجلترة وفرنسا . فكانوا هم رسل الحياة الأوربية فى مصر . درس الكثير منهم القانون فى جامعة ليون بفرنسا ، وتأثر الكثير بالدراسات التى زخرت بها كتب الفلسفة والقانون . فكان من هؤلاء زعماء الفكر فى مصر ، بل لقد كان منهم الزعيم السياسى مصطفى كامل

لم يكن بين هذه المدرسة الحديثة التى قامت فى سنة ١٨٩٠ وما بعدها علاقات وثيقة بالثورة العرابية، وقد كانت الثورة العرابية مادية طغت فيها المصلحة على الوطنية الخالصة، ولم تكن هذه الثورة مستنيرة لأن الكثرة من زعمائها كانوا جنودا غير مستنيرين، بل ولم تكن شجاعة لأن عرابى نفسه لم يكن شجاعا . أما جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين ومن جرى فى أثرهم فقد جمعوا بين الوطنية والتنور والشجاعة . ولم يربطوا غرضهم القوى بترقيات لفئات خاصة، وكانت ثقافتهم أصيلة لأنهم درسوا أصول الثقافة عند الغرب وعند الشرق وحاولوا أن يؤلفوا بين الثقافتين .

تلك هى الفئة التى حملت الثقافة القومية الأولى فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخنا الحديث . ولقد أدت رسالتها على خير وجوهها وكان عصرها غنيا بمختلف أنواع النشاط . وحينما ألقى العرابيون سيوفهم شرع هؤلاء أقلامهم يكتبون، وحينما خفت زئير الدافع اعتلوا المنابر يخطبون . ولقد كان الشرق والغرب خلال تلك الفترة فى كفاح ظاهره العلم والدين والثقافة وباطنه الاستغلال والسيطرة والاستعباد . وكان هانوتو ورينان ودوق داركور يكتبون من ناحية الغرب، وكان جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين يردون من ناحية الشرق .

والحق لقد كانت ظاهرة نفسية غريبة تلك التى تنظرت بها كتابات هانوتو ورينان وداركور وقد نقد هؤلاء وكثير غيرهم من الكتاب والمؤرخين والفلاسفة أصول الإسلام، ولعل هؤلاء كانوا يؤيدون فى ذلك الاتجاهات الاستعمارية الخاصة التى توجهت بها فرنسا من غير أن يكونوا يشعرون بذلك . ولأمر ما قام هؤلاء قومة رجل واحد يحاولون أن يتحيفوا من الجماعة المصرية وأن ينتقصوا من الدين الإسلامى جميعه . لكنهم وجدوا تلك المدرسة العصرية المثقفة . وكان على هؤلاء أن يثبتوا أن الإسلام الحقيق غير العادات العتيقة والتقاليد البالية التى حسب الفرنسيون أنها الدين .

حينما بحث هانوتو قواعد الإسلام كان يحاول أن يختط خطة لمعاملة المستضعفين من أبناء المستعمرات التى انتقلت تحت الحكم الفرنسى . وكان جديراً بمثل بحثه أن يكون متحيزاً لأنه كان فى مكان الحاكم الذى يملى على المحكوم . وقد وجد هانوتو فى كتابات محمد عبده صدى لما كان يجول فى صدور هذه المدرسة الكريمة التى ذكرت . وكذلك قل عن الدوق داركور فإن هذا الكاتب مكث فى مصر بضعة شهور كان يحسب أنه قد أوتى خلالها العلم جميعاً بأحوال المصريين . وقد حاول أن يرجع كل نقص رآه إلى طبيعة الدين نفسه ، فكان على قاسم أمين أن يقرع الحجة بالحجة ويرد البرهان بالبرهان . وما فرغ دوق داركور من كتابه عن « مصر والمصريين » حتى كان قاسم أمين يهيء كتاباً فى الرد عليه سماه « المصريون » .

والحق أن هذا الكفاح الذى قام بين الشرق والغرب كان

مفيداً للحياة المصرية بوجه عام . ذلك أن قوماً مثل محمد عبده وقاسم أمين قد أدركوا في دفاعهم عن مبادئ الإسلام أن في المجتمع المصري كثيراً من المثالب التي ينبغي إصلاحها . ونحن نرى أن في الوقت الذي كان الأستاذ الإمام وقاسم أمين يردان فيه على كتاب الفرنسيين — في نفس الوقت كانوا يهيئون أنفسهم للكتابة عن مصر ، وكان محمد عبده يمثل الناحية الدينية فحاول أن يضع أصول الدين في موضعها الأول وحاول أن ينشر ثقافة دينية في مصر لم تزل إلى اليوم مجدة قوية جاهدة ، وما كان ذلك الاتجاه الجديد إلا لأنه وجد نفسه في موقف المدافع فعرف القضية من جميع وجوهها وحاول أن يقيم ما اعوج وأن يحفظ على مصر والمصريين كرامتهم .

ولقاسم أمين بعد ذلك وجه آخر من وجوه الإصلاح . فقد كتب كتابه «Les Egyptiens» رداً على دوق داركور في سنة ١٨٩٤ إلا أنه لم يلبث بضع سنوات حتى وجد أن دوق داركور نفسه قد تكلم عن مفاسد حقيقة بالبحث والتفطن فكتب كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ينقد فيهما نظمنا الاجتماعية الفاسدة والمبدأ الذي دارت عليه بحوثه في المرأة وتحريرها هو مبدأ القدرة على استكمال النقص perfectibilité الذي يتبعه كثير من أنصار التقدم ، وقد حاول على هذا الأساس أن ينقد التقاليد والعادات التي حدّت من حرية المرأة وجعلتها في الوضع الأدنى من تقدير الرجال . على أن قاسماً من وجه آخر كان يرى أن إصلاح المرأة بدء الإصلاح العام

كانت المدرسة المثقفة التي قامت في نهاية القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين هي المدرسة القومية التي استنارت بنور العلم والتي أقبلت على الإصلاح بلهفة المؤمنين بالمثل الأعلى ، وهي المدرسة التي تخرج فيها مصطفى كامل وسعد زغلول ، وهي الأصل في نهضتنا القومية التي بدأت بعد الحرب الكبرى والتي لما تنته بعد من وضع منهاجها القوي الذي يجب أن نعمل له

***

وكانت هذه المدرسة مؤمنة للمثل العليا في الدين والخلق النصيب الأوفى من تقديرها ، بل كان لها من المعايير الدينية والخلقية ما لا نزال نحن في حاجة إلى إحيائه في العصر الحاضر . دفعها هذا إلى الإيمان بأن وحدة الإسلام ينبغي أن تقوم ضد الغرب وقد أراد أن يعصف بذلك الإيمان العميق الذي حل في أغوار النفس عند الشرقيين عامة والمصريين بوجه خاص . وذلك نفسه تفسير لتلك الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الداعون في ذلك الزمن . كان لا يزال هؤلاء وكثير غيرهم يحسنون الظن بدولة الخلافة . لكنهم في نفس الوقت الذي كانوا يحتفظون فيه بعلائق المودة والرحمة بالدولة التي كان عليها أن تحفظ تراث المسلمين — في نفس ذلك الوقت كانت آثار أقلامهم تحيي الشعور القومي عند المصريين . وما تجيّل هذا الجيل حتى نبتت فكرة أساسها الدفاع عن الوطنية المصرية أمام الأتراك والمتتركين . فدعا الجيل الذي عاش قبل الحرب الكبرى إلى أن تكون مصر للمصريين . وأنت تلمح هذين الوجهين من وجوه القومية المصرية في حياة مصطفى كامل وأنت تلمح الوجه الأخير ظاهراً جلياً في حياة سعد زغلول ، ولو أن مصطفى كامل عاش إلى ما بعد الحرب العظمى لنبيها إلى ما دعا إليه سعد

أحمد خاكي

للتاريخ السياسي

أسباب التسليم

للدكتور يوسف هيكل

في ميونيخ هزمت الديمقراطية آلم انهزام، وانتصرت الدكتاتورية أعظم انتصار. فخسرت فرنسا وبريطانيا نفوذها السياسي، وتضعضع مركزها الدولي، وانتقلت السيادة الأوربية، في هذه الأيام على الأقل، من يدها إلى يدي الهر هتلر والسنيور موسوليني. لذلك نعت اتفاق ميونيخ بأنه «اتفاق الذل والهزيمة» ووصف بأنه «الحد الفاصل بين عالمين». فما هي العوامل التي أرغمت فرنسا على قبول هذا الانهزام؟ وما هي الأسباب التي دعت المستر تشمبرلن إلى التسليم لمشيئة الهر هتلر؟

على أثر اتفاق مونيخ ثار الرأي العام في تشيكوسلوفاكيا ساخطاً على فرنسا، ومتهماً إياها بالخيانة، وملقياً عليها مسؤولية ما أصابه من انهزام وذل وفقر، وما أصاب بلاده من تمزيق وضعف. وأصبح الشعب التشيكوسلوفاكي يبغض الحكومة الفرنسية، صديقته الحميمة، بغضاً لامزيد عليه. حتى أن الظواهر الفرنسية، من مؤسسات علمية وطائرات وسيارات، في تشيكوسلوفاكيا، التي كانت قبل اتفاق مونيخ تثير احترام الشعب التشيكوسلوفاكي لفرنسا وإعجابه بها، أضحت بعد اتفاق «الذل والهزيمة» تثير البغض لحكومة باريس والحقد عليها. وعمل الشعب التشيكوسلوفاكي وحكومته على الابتعاد عن فرنسا، وقطع الصلة بها، وطمس آثارها في بلاده. ولتحقيق ذلك أبدلت البلديات أسماء الشوارع الفرنسية بأسماء تشيكية وألمانية، وألغت حكومة براغ تدريس اللغة الفرنسية في مدارسها كلغة إجبارية، واستعاضت عنها باللغة الألمانية، وقطعت عن المعاهد العلمية الفرنسية في بلادها ما كانت تقدمه لها من مساعدات مالية. واستبدلت دور السينما التشيكوسلوفاكية بالأفلام الفرنسية أفلاما ألمانية...

فهل كان الرأي العام التشيكوسلوفاكي مصيباً في اعتقاده خيانة فرنسا له؟

منذ اشتداد المشكلة التشيكوسلوفاكية ورجال الحكم في باريس يعلنون أن فرنسا ستقف بجانب حليفتها. ولتأكيد ذلك اتخذت الحكومة الفرنسية، حين اشتداد الأزمة السياسية بين برلين وبراغ، إجراءات حربية واسعة المدى. وكان كل شيء، النية والعزم والعمل، يدل على أن الحكومة الفرنسية جادة في قولها، لا تود ترك حليفتها تذهب ضحية اعتداء ألماني. وكان ذلك رأي الجيش في فرنسا أيضاً، إذ أن رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي ختم التقرير الذي قدمه لحكومته بقوله: «إن الصعوبات كثيرة ولكن يجب أن نمشي»

وبينما كانت فرنسا جادة في استعداداتها الحربية للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا، أعلمتها وزارة خارجية انكلترا أن آلاف الرسائل التي تلقاها المستر تشمبرلن من سائر أنحاء الممالك المتحدة، تحتم عليه إنقاذ السلم على أي حال، وأنه يعتبر ذلك دليلاً على أن الرأي العام البريطاني غير مستعد لخوض غمار الحرب من أجل تشيكوسلوفاكيا. فأدركت الحكومة الفرنسية أنها لن تستطيع الاعتماد على الحكومة الإنكليزية، وأن ثباتها قد يكون مقامرة خاسرة.. ووجدت نفسها في آخر الساعة في ظروف لا تمكنها من الإصغاء إلى رأي الجنرال كاملان، فاضطرت إلى التسليم، وإلى أن تسير مع انكلترا موافقة على ما عزم عليه المستر تشمبرلن. لأن القوى الفرنسية وحدها، مع عظم أهميتها، لا تستطيع مقاومة القوى الهائلة المتأهبة للحرب في بلاد الدكتاتورية

وأما سياسة حكومة لندن، وتصريحات رجالها فكانت تدل على أن الحكومة البريطانية لا تريد الوقوف بجانب حكومة براغ، مدافعة عن حقوقها، وصادة التوسع الألماني في أوربا الوسطى. بل كانت هذه السياسة، وهذه التصريحات دالة على أن حكومة لندن عازمة على عدم خوض غمار الحرب، وعلى تسوية النزاع الألماني التشيكوسلوفاكي بأي ثمن كان، تلافياً للحرب، على رغم ما في ذلك من انهزام شنيع وأخطار فادحة لها ولحليفتها فرنسا

* * *

لم يضحِّ المستر تشمبرلن في مونيخ بما أوجدت السياسة الفرنسية خلال عشرين عاماً من قوى دفاعية فعالة ضد الاعتداء الألماني، ولم يُمكن رئيس وزارة انكلترا، الهر هتلر من السيطرة على أوروبا بتسليمه بمطالبه في تشيكوسلوفاكيا، حباً في السلام فقط، بل هناك أسباب قاهرة دعته إلى هذا التسليم. وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين: الأول منهما يتعلق بمسائل حربية، والثاني يتصل بعوامل نفسية نفعية

إن الدولة الكبرى الوحيدة التي نزعت فعلاً سلاحها فيما بعد الحرب العظمى هي بريطانيا العظمى . ويرجع ذلك إلى سياسة حزب العمال ، الذي كان برأسه المستر رمسي مكدونالد . وكان المستر مكدونالد يأمل أن تحذو الدول الكبرى حذو بلاده فتنزع سلاحها غير أن أمله لم يتحقق ، ففرنسا لم توافق على نزع سلاحها لأنها كانت واثقة أن في نزعه خطراً على سلامتها وخطراً على أوربا أيضاً ، لأن الدول الأخرى لن تنزع سلاحها . وبالفعل فإن إيطاليا الموسولينية أخذت تبذل كل قواها في التسلح على أنواعه ، وتبعتها في هذه الخطة ألمانيا الهتلرية . فأصبحتا أعظم الدول الأوربية تسلحاً . فسياسة نزع السلاح العملي التي سار عليها المستر رمسي مكدونالد في انكلترا أدت إلى إضعاف بريطانيا العظمى حربيا ، وإلى تشجيع الدول الدكتاتورية على التسلح العظيم

وبرغم أن بريطانيا العظمى قد ابتدأت في التسلح منذ أن تسلمت الحكومة القومية إدارة سياسة البلاد فأصبح لا يستهان بقوى سلاحها ، فإنها لا تزال غير متسلحة التسلح الكافي الذي يمكنها من خوض غمار الحرب

وزيادة على ذلك فإن مدنها وسواحلها خالية من التحصين ضد الغارات الجوية. فهذه المدن وهذه السواحل تكون هدفاً لغارات الطائرات الألمانية ، فيما لو نشبت الحرب العالمية من جراء المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وتوقع غارات العدو فيها أضراراً فادحة ...

ثم إن الحالة في المستعمرات الإنكليزية غير هادئة ؛ وكانت حكومة لندن تخشى أن تحدث اضطرابات في بعضها ، وتشب نار الثورة في الآخر ، إن هي اشتبكت في حرب أوربية فتصبح هذه المستعمرات سبب ضعف لها ، بدلاً من أن تكون عامل قوة

وبينما كانت الوزارة البريطانية في وسط معمعة الأزمة التشيكوسلوفاكية ، أبلغت دائرة استخباراتها المستر تشمبرلن سرا أن الحكومة اليابانية متأهبة لاجتياح الأملاك الإنكليزية في الشرق الأقصى حال اشتباك القوى الانكليزية والفرنسية في حرب مع ألمانيا . ولهذه الغاية كانت اليابان قد أبقت القسم الأعظم من أسطولها بمعزل عن الحرب الصينية . وهو ، في تلك المياه ، يضارع في القوة أسطول انكلترا أو الولايات المتحدة . وكانت اليابان تفكر في إيقاف حربها الصينية ، حين وقوف حرب أوربية تشترك فيها بريطانيا ، وإبقاء أقل من نصف مليون من الجند في القسم الذي افتتحه من الصين للمحافظة عليه ، والزحف بجيش عظيم مدرب نحو الجنوب ، والانقضاض على هنغ كنغ وسنغافورة ومقاطعات مالاي والهند واستراليا ، وضربها ضربة قاصمة بسرعة لا تدع مجالا للدفاع عنها .

وقد أدرك المستر تشمبرلن أن الوسيلة الوحيدة للخروج من هـذا المأزق ، وإبطال الخطة اليابانية ، فيما لو وقعت الحرب ، هو إقناع الولايات المتحدة بإرسال أسطولها إلى المحيط الباسيفيكي ليكون رادعا لليابان عما تبنى الإقدام عليه . غير أن الولايات المتحدة أظهرت حينئذ أنها لا تريد العدول عن خطة الحياد ، والابتعاد عن المشاكل الأوربية .

ويريد بعض الكتاب السياسيين تعليل تسليم بريطانيا وفرنسا في مونيخ ، إلى اعتقادها أن روسيا لم تكن عازمة على دخول الحرب بجانبهما ، بل إن غرضها كان إيقاد نار الحرب دون أن تصطلي بلظاها ، رغبة منها في إشعال لهب الثورة . وهذا القول خال من الصحة ، لأنه إذا غضضنا النظر عن تصريحات المسؤولين في موسكو بعزمهم على تنفيذ واجباتهم نحو تشيكوسلوفاكيا إذا قامت فرنسا بواجباتها نحوها ، نرى أن مصلحة الروسيا كانت تقضي عليها بدخول الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، لضمان انتصار الدول الديمقراطية ضـد الدول الدكتاتورية . أما تمكين الدول الدكتاتورية من الانتصار على بريطانيا وفرنسا فمعناه هيمنة ألمانيا التامة على أوربا . ومعناه أيضاً فسح المجال للجيوش الألمانية للهجوم على بلاد الروس وتمزيقها ، وتحقيق منهاج الهر هتلر من نزع أوكرانيا وغيرها من المقاطعات الروسية وضمها إلى الريخ

أما العوامل النفسية النفعية التي ساعدت على التسليم في مؤتمر مونيخ ، فمنها أن الرأي العام البريطاني في الممالك المتحدة وفي الممتلكات البريطانية كان ضد الحرب ، لا حباً في السلم فحسب ، بل اعتقاداً منه أن الخلاف بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا لا يمس بريطانيا وممتلكاتها ولا يؤثر على مصالحها . . . ومنها أن رئيس وزارة انكلترا المستر تشمبرلن ، شيخ جليل ، يعتقد إمكان التفاهم مع الدول الدكتاتورية ، ويحب السلام الأوربي ، ويرغب في تحقيقه بأي ثمن كان ...

* * *

أمام هذه الوضعية الحربية التي تحذر من خوض غمار حرب أوربية ، وإزاء هذه النفسية التي ترغب في اجتنابها ، اضطرت الحكومة الإنكليزية إلى عدم المغامرة في حرب أوربية . وقام

رئيس وزارتها بإقناع فرنسا بضرورة التريث وبذل الجهود فى حل الخلاف الألمانى التشيكوسلوفاكى بالطرق السلمية . ولأجل ذلك قرر المستر تشمبرلين حين اشتداد الأزمة زيارة الهر هتلر طائراً وبذل الجهود التى عرضناها فى مقالات سابقة ، لإقناع زعيم ألمانيا بحل قضية السوديت سلمياً . وللوصول إلى هـذا الحل تساهل المستر تشمبرلين مع الهر هتلر إلى حد التسليم بكل ما طلب وفرض

وقد ظن المستر تشمبرلين أن إرضاء زعيم ألمانيا فى مونيخ يزيل أسباب الحرب ويوجد السلام المنشود ، وأنه باتباع سياسة « تهدئة الخواطر » يسود التفاهم وتعم الطمأنينة . فهل نجح المستر تشمبرلين فى سياسته أم أن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتهـا وجعلت وقوع الحرب أمراً لا بد منه ؟ هذا ما سنبحثه فى مقال آخر

يوسف هيكل

مؤلف ثائر وموسيقار نابغ

مكسيم جوركى
يهـدم الحكم القيصرى

مبلغ تأثير أديب شعبى فى حياة أمته

للأستاذ محمد لطفى جمعة

منـذ بضعة أشهر ، قضى فى الستين من عمره شاليابين Chaliapin الممثل الروسى الأشهر ، وكان أخلص أصدقاء جوركى ، وقسيمَ حياته فى شبابه وكهولته ، ولجوركى فضل تحويله من نزعته الأرستقراطية إلى المذهب الاشتراكى . وخلف شاليابين فيما خلف ذكريات مخطوطة ورسائل منثورة تولى بعض أصـدقائه نشرها فى مجلة « العهد الجديد » . ويمكن لمن يطالع هـذه المذكرات والمقولات والقصاصات التى نشرت بعد طبعها ، أن يجدَ فى أدب جوركى وفن شاليابين أدلة قوية على تأثير الأدب فى حياة الأمم ، وعلى تدخل الفنون والمواهب العقلية فى كل ثورة طارئة على المجتمع . وهذا يذكرنا بما كان لسقراط وأفلاطون وسوفوكليس وأوربيبيديس فى اليونان ، ولفيرجيل وإيكتيت وسنيكا فى الرومان ، وفولتير وروسو فى فرنسا ، وإديسون وديفو وهيوم وبوكل وبنتام وكارليل فى انجلترا ، وتورجنيف وجوجول ودوستيوفسكى وتولستوى وجوركى فى روسيا

زعم بعض الدعاة أن جوركى نقم على صديقه القديم لينين[١] بعض طرائق تفكيره ووسائل حكمه ، وأنه غادر روسيا غاضباً ولم يعد إليها إلا بعد موت لينين ؛ ولـكن هـذا النبأ كاذب ، فإنهما عاشا وتعاشرا وافترقا على أصفى الود ؛ وإنما أراد لينين بسفر جوركى إلى الخارج أن يكون بمثابة السفير العقلى ليفيد الروس من مجده الثابت فى أذهان غرب أوربا ، بينا هو كاتب عالى يقوى جانب لينين بانضمامه ويعتز به . وقد ثبت من الوثائق التى أظهرها شاليابين أن كتب جوركى كانت تطبع وتنشر بالملايين فى حقول روسيا وسهولها وبيوتها ومدارسها ومصانعها ومعاهدها أثناء غيبته فى أوربا الغربية ، تلك الغيبة التى عللوها بالجفوة بينه وبين لينين . ولو كان جوركى غاضباً أو مغضوباً عليه لم يكن ليستمتع بهـذه الشهرة النادرة فقد أخرجت مطابع لينينجراد وموسكو وساراتوف ونيجنى نوفجرود فى سنتى ١٩٢٤و١٩٢٥ أكثر من أربعة ملايين نسخة من كتبه (المتشردون وكونولو وماريا المجدلية وتوماس جودوريف) . وقد حبب جوركى إلى قلوب قرائه استقلاله فى الأدب وغيرته على تكوينه الذاتى فقد أدب نفسه وربى عقله ولم يكن له أستاذ غير نفسه . لم يكن أناتول فرانس أول كاتب عظيم طلق اسمه ، وخلعه وقذف به وتبرأ منه لثقله وعدم انسجامه وهو « تيبو » اسم سيئ الرنين فى الأذن الفرنسية المرهفة الحس ، وكذلك كان اسم جوركى مكسيموفتش بشكوف ، فاختصر الاسم ودفن اللقب وأحل محله جوركى ومعناه « ذو الغضاضة أو المرارة » وقد روى جوركى تاريخ أهله وترجمة حاله فى طفولته وشبابه فى رواية توماس جورديف . وإنه لشبيه بكل العظماء فى اليتم ، فكان يتيماً لطيماً ، لفظه بيت الأسرة وتلقفته حوانيت المعلمين ، وأركان الشوارع وسفائن الملاحة على نهر فولجا السحرى الذى كرر ذكره فى كتبه وخلّد صور الحياة على ضفافه فى قصصه الأولى ، ومعظم أشخاصها من الفاليك والصعاليك والمنبوذين والمحاويج الذين علقوا بالنهر من قريب أو من بعيد . وتمتاز تلك القصص بالصدق لأنها مغمورة بالبؤس والضراء

---

(١) اسمه الحقيقى إليا إليتا نوفتش

وخشونة الحياة وشظف العيش والإرغام على الصبر وتحمل المكاره التى حفت بها الدنيا . وتلقى التعليم الأول على يد طاه كان فى بداية أمره من رجال الحرب ، ثم وقف أمام الكانون يعد الطعام . وطلب جوركى العلم فى قازان والتمس العيش فى مخبز وباع الفاكهة الفجة والناضجة فى الأسواق . ويرجع إلى هذا العهد تلقين جوركى مبادئ الثورة الاجتماعية عن رجال ونساء كانوا يتخذون أزياء غير أزيائهم ويندسون فى ثنايا المجتمع ليدعوا إلى الإصلاح . فيكون أحدهم أستاذاً فى الجامعة أو طبيباً أو مهندساً ولا يأنف أن يستخفى فى مباذل خباز أو عجّان أو خزّاف . وقد عرض لجوركى أثناء تلك الفترة ألوان من المحن كاحتقار المثل العليا التى يخلقها الخيال — قصة « عشرون رجلاً وامرأة » — وسهولة الاتصال بالنساء واقتراف الجرائم فى سبيل سد الرمق ومقاومة الجوع ولو بالقوت الضرورى ، وامتزاج الميول الجنسية بالحاجة المادية ، وعجز الفاقة والشهوة عن خنق المواهب الكامنة فى نفوس النوابغ والتى تظهر لأسباب طارئة تفهة . فإن جوركى وهو فى أشد حالات الضنك وأحط درك الاجتماع ، كان مشتغلاً بحاضر العالم ومستقبله ومنابع الخير والشر فى المجتمع ووجوب خدمة الإنسانية بأسرع ما يستطيع وبكل ما يملك من عقل وخلق وإرادة . كان جائماً طريداً معدماً مدقعاً، ولكنه كان مفكراً وثائراً وحائراً ، فلم يقف جوعه فى طريق عقله ، لأنه كان يشعر بامتلائه بما قرأ وما رأى وما سمع، وكان ينغض من أعماق قلبه منظر الآلام وأخبار الشقاء وترديد أنّات التوجع، لأن حسه المرهف لم يطق تحملها، فما باله بالسخرية تصدر عن القوى من الضعيف والحاكم من المحكوم ، والغنى من الفقير ، وبالاعتداء والتعذيب وإهراق الدماء . كان إذا قضت عليه الأحوال برؤية لون من ألوان الأسى يحزن ثم يغضب ثم يثور ، فإذا لم يجد من يشفى غليله انهال على نفسه ضرباً كما يضرب الفلاح حماره . وقد أضرت به الفاقة فتعلق بأهداب الموت ، ولكنه اتصل بتولستوى عن طريق كتبه وتلاميذه . وأخذ يكتب فى نصف العقد الثالث حوالى سنة ١٨٩٣ فاكتشفه كورلنكو فتبناه وأعانه . وكورلنكو من أكبر كتاب روسيا، غير أنه راح فريسة قسيس رومى خبيث حبب إليه الآخرة وقبح له الأدب والفن فأحرق مخطوطاته فى باريس إرضاء لرجل الدين الذى تكشف عن جاسوس قيصرى دسه عليه الحكومة لتسلب شعوره وتتركه لعبة فى أيدى رجال الخفية . بيد أن جوركى أدرك كورلنكو قبل أن يصيبه الخبال فجنى من ثمار نبوغه وترسم خطاه فى التحرر من قيود البيان وتبع المدرسة الجديدة التى تجعل للمعانى المكان الأول من ذهن الكاتب. وفتح له كورلنكو مغاليق الصحافة الأدبية . فأشهر كتابه الأول فى ختام الثلاثين من عمره ولم يكف عن التأليف والنشر بعد ذلك ثلاثين عاماً . ولم يخلع مكسيم جوركى ثياب الفلاحين ولم يبدل من طريقة عيشتهم. وكان وجهه بتقاطيعه وتقاسيمه الموجيكية يسحبه إلى الفطرة الروسية سحباً . ولا عجب ولا غرابة فقد كان جزءاً من تلك الخليقة الموسكوفية والسليقة السلافية أشبه الرجال بليو تولستوى . يقول شاليابين : « إلى تلك الفترة ترجع تلك اللوحة الزيتية العجيبة التى أنتجتها مواهب صديقه ريبين ، فقد صور جوركى فى بذلة فلاح مديد القامة بارز الوجنتين صغير الذقن قصير الأنف غزير الشعر أشعث المظهر . . . تمثالاً حياً وصورة ناطقة لفتى الريف الروسى فى أذكى هيآته وأنبلها . فلله در ريبين الذى خلد براعته صورة صاحبه . وكان تسلق جوركى سلم الصيت سريعاً . وقد بذ فى صعوده الأمجاد من أمثال تولستوى وجوجول وتورغنيف . وتعليل ذلك أنه نال من نفوس الشعب ، فأحبه وعطف عليه ، ووثق من مقاصده ، وكأنه رآه يخلق ويصنع على عين أمته فلم يكن شىء من حياته خافياً . وكانت الأفئدة مستعدة لتسلم هذا الإثر ، ولا سيما أفئدة العمال والصناع الذين ما زجهم جوركى وخالطهم واتصل بهم وعمل على تحريرهم من قيود الفقر والظلم القيصرى ، ولم يخجل من ذكر حوادث ماضيه واختلاطه أحياناً بالنساء البائسات فى حوانيت أو مخازن أو خرائب مهجورة أو على شواطئ البحر وضفاف الأنهار . لأن هذا الذى سمّاه « الفريسيون » وصغار البورجوازيين سقوطا ، لم يكن إلا تسامياً عن طريق الألم (١) فكان أحياناً يفكر فى حظ الإنسان ومستقبل الحضارة ويحدث نفسه بإحداث أعظم أثر فى المجتمع ، وهو لاصق إلى فتاة مسكينة تعد منبوذة فى حكم النظام الاجتماعى . وكان شاليابين ولينين من الأصدقاء الذين

(١) idealisation par la souffrance

اتصلوا به فى أوربا الغربية حين نزح إليها منذ ثلاثين عاماً .
وعند ما حكمت محكمة بطرسبرج على جوركى بالسجن لاشتراكه فى مظاهرة البوب جابون(١) احتج تولستوى بخطاب مفتوح إلى القيصر وانضم إليه مفكرون فرنسيون وانجليز . ونشر فى ضحى هذا القرن ذكريات طفولته تقليداً لتولستوى الذى فعل ذلك .
وكان كلاهما مخلصاً فى وصف هذه الفترة من حياته . وكان صدر جوركى ضعيفاً فألزمه الأطباء جزيرة كابرى فقصد إليها ولم يكن له زوج وأولاد يرعونه ، فإن حياته الأولى فى ظلال الشقوة والقلق والفلاكة عدلت به عن اتباع طريق العادة . ولعل تعففه عن النساء فى أواسط عمره مكّن له من مقاومة داء الصدر الوبيل الذى أصيب به فى أوائل شبابه ، فنفض عن كاهليه غبار المرض فى جو تلك الجزيرة الصاحية الضاحكة ذات الألوان البهيجة والظلال الوارفة والأشجار الملتفة والأشعة البنفسجية . وفى كابرى زاره الأدباء والعلماء والزعماء ولا سيما لينين الذى كان يهرع إلى تلك الجزيرة ليتخذها مغنى وملهى وموضعاً للتفكير والتدبير . ولم يكن جوركى خصم الشيوعية من اللحظة الأولى ، ولكنه لم يكن لها باختياره ، لأن الشعب تملق بكتبه ، وأعجب بأدبه ، فطلب إليه لينين أن يرأس تحرير جريدته فأجاب سؤله . ففاز به لينين ولشدما كان إعجابه بهذا الفوز ، لأن جوركى كان الكاتب الكبير المخضرم ، وهو الوحيد بين من عطفوا على الثورة . وكانت تعوقه عن التمادى فى نصرتها عقبة عقلية ونفسانية ، وهى أنه بنشأته وغريزته يعين الفرد ، ويعززه ويعمل على تنميته وتعظيمه والإعجاب به ، والثورة الشيوعية تود لو تمحو شخصية الفرد ليندمج فى المجموع ويسخر له . وفى هذا المذهب ابتلاع لمبادئ الفلسفة الاجتماعية التى سرت إلى سريرة جوركى وسرائر أساتذته وأصدقائه . ولكن الشيوعيين اعتقدوا أنهم فى حاجة إلى كاتب فحل واسم ضخم وثائر عنيف ، يقف كالطود وينصب كالعلم ليلتف حوله أولاده وتلاميذه ، فلم يبخل جوركى على وطنه بهذه النعمة ، وقد روى لى (شليابين هو المتكلم) : أن ستالين قال له يوماً فى موسكو :

— ما عليك يا ابن مكسيموفتش العزيز !

أليس هذا النظام الذى يحارب الفقر والجهل والمرض وينتزع الشعب المقهور من براثن الفاقة ، ويعد مستقبلاً سعيداً لملايين المساكين الذين طال تعذيبهم ، وكتبك كلها ناطقة بالحنان عليهم أترانا نبالغ أحياناً ونطلب المزيد ؟ فأعرض عنا قليلاً قليلاً ، ولكن لا تتخل عنا . نحن أقرب الناس إليك فى سوق هذه الحياة الدنيا (كذا) ، ولا أهل لك غيرنا لو تأملت.. أما أنا فستجدنى أطوع لك من لينين ، أى من بنانك . فأنا أعلم أنه كان يحبك حباً جماً ، ولا يخيب لك رجاء ، وحسنا فعل ...

فقلت له : ولكننى فى حاجة إلى الراحة . فقد بقيت أكتب وأكتب منذ ثلاثين عاماً وأكثر . أما آن لى أن أستريح ؟

قال لى : لكن قلمك اخترق قلوب الشعب ، فلا يحلو لهم غير الذى تصوغ من درر الفن الرفيع . إن تملق الشعب بك بعد أن مات تولستوى وتشيكوف ، وبعد أن فرأندرييف أشد من تملقك بشليابين لحبك موسيقاه وتفانيك فى أنغامه

وسألت جوركى فى هذا فقال لى : أنا أحبك لذاتك . أنت شيطان الموسيقى الأكبر ، ولكن الموسيقى التى تجذبنى هى التى سمعتها على ضفاف نهر الفولجا أو فى سفائن تمخر أمواهه

محمد لطفى جمعة

(١) شارك الشرطة السرية فى الايقاع برجال الثورة ثم دبر له البوليس السري كميناً وشنقه فى حديقة قصر خال بالريف

مولد الليل

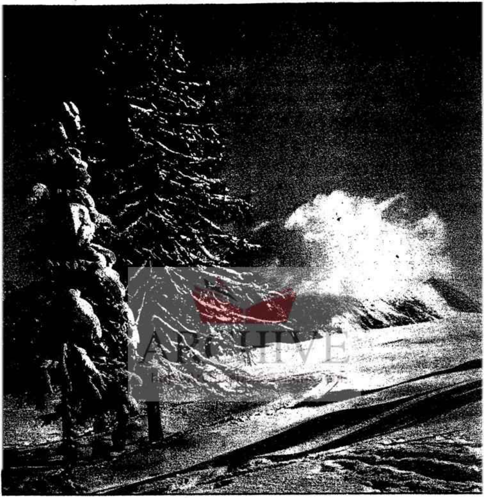
(بقية المنشور على صفحة ١٥٦)

هَذِهِ الشمْسُ إذا ما غَرُبَتْ فوَرَاءَ اللَّيلِ إصْبَاحٌ يَرُوقْ
وإذا شَمْسُ حَيَاتِى ذهبتْ وَدَجَا (اللَّيْلُ) فلا نجم ولا
مَوْضِـعٌ فيه لِفَجْرٍ أو شُرُوقْ

ظُلْمَةُ اللَّيلِ بِهذا العَالَمِ تَسْبَحُ الأحْلامُ فِيهَا وَتَطِيفْ
أتُرَى لِى مِثلُ حُلْمِ النائمِ إن دَجَا فَوْقِى لَيْلُ الرَّدَى،
أمْ تُرَى لَيْسَ سِوَى الصَّمْتِ المُخِيفْ ؟

إيه يا لَيْلُ تَجَمَّعْ وَانْزِلِ فِيكَ للْيَائِسِ أحْلامٌ تُتَاحْ
إيه ياليل ، بقلبى الذّابِلِ سَكَرَاتٌ من مُنًى حائِرَةٍ
تَتَلاشَى عِنْدَ إقْبَالِ الصَّبَاحْ

الخفيف



الشتاء ! الشتاء ! وماذا تفهم من الشتاء يا ابن مصر الضاحية الضحوك ؟ هل تفهم منه إلا أنه أسابيع من عمر العام لا تدرى أهى أواخر خريفه أم أوائل ربيعه؟ هل تجد فى جسمك غير دفء النعمة، وفى نفسك غير بهجة الأنس ، وفى عينك غير إشراق الجمال؟ أنظر أمامك تر الشتاء الغربى الذى جعله الله شيخوخة الطبيعة ، يسلبها الرواء فلا تُعجب ، ويحرمها النماء فلا تخصب ، ويلقى عليها الهمود فهى سكون خافت وصمت ثقيل، ويلفها فى كفن من الثلج نسجته ريح بليل ؛ ثم تقشعر الأرض ، وتكفهر السماء ، وتقع الحياة بين القحط والموت ، فتئن بالرعود ، وتتأوه بالأعاصير ، وتتساقط على الشجر السليب والثرى الكثيب والقرى الموحشة، همًّا فى الصدور، وبؤساً فى الأكواخ ، ورهقاً فى العزائم .

إن الشتاء فى غير مصر زمهرير جهنم ، تتنفسه كما تقول الأساطير فلا يذر من شىء يهبُّ عليه إلا أحرقه بالقُر وأغرقه فى الصقيع..أما فى مصر فالشتاء فى الناس لا فى الطبيعة. والشتاء فى الناس برد فى الدماء ، وخمود فى العواطف، وقحط فى الأنفس . فلو كان كل من على النيل صافى القلب كسمائه ، عذب الخلق كمائه ، طلق اليد كفيضه ، ضافى المعروف كأرضه ، لكان هذا الوادى الحبيب جنة الله فى الدنيا، أزلفها لجنس من خير الأجناس، خلقه وسطاً بين الملائكة والناس ! ولكن . . . وما أسخف الحياة ما دامت فيها لكن !

ابن عبد الملك

رد على نقد

القديم والجـــديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إذا كانت الأشياء تتبين بأضدادها فقد تبين معنى القديم الذى أردناه لما بينا فى المقال الماضى مرادنا بالجديد

إن قديم الإسلام الذى ذكرناه فى أولى الكلمتين اللتين نقدهما الأستاذ قارئ هو القديم الذى نحفل ونفخر به والذى لا نرى سواه جديراً بالاستمساك به والذود عنه . لكن قديم الإسلام ليس مرادفاً من كل الوجوه لقديم المسلمين . فقديم المسلمين هو كل ما شمله تاريخهم مما يسر ويسوء ، ومما يطابق أو يخالف الإسلام . لو كان المسلمون معصومين من الخطأ ومتابعة الهوى ، أولو كانوا مع عدم عصمتهم لم يخطئوا إلا خطأ المجتهد ، لكان قديم المسلمين هو وقديم الإسلام سواء ، ولكان حال المسلمين اليوم شيئاً آخر غير ما هم فيه . لكن المسلمين بعد أن فتح الله البلاد على سلفهم الصالح وخلفوه فيها فتنتهم الدنيا كما فتنت من قبلهم ، وحاولوا أن يتحللوا من قيود دينهم ، وتهاون أولو الأمر فى إقامة حدوده فزلت الأقدام بعد ثبوتها ، وتداولتهم الأيام حتى صاروا إلى ما هم عليه

ومن الإفك العظيم الذى يأفكه الغرب أن ينسب ما هم فيه إلى دينهم الذى إليه ينتسبون . لو كان ما هم فيه نتيجة العمل بالإسلام ما كان هناك مفر من اتخاذهم حجة عليه . لكنهم صاروا إلى حاضرهم المخزى بتركهم العمل بالإسلام ، فهم حجة له سلبية كما أن سلفهم الصالح حجة له إيجابية ، وتمت بذلك حجة الله على الناس . سلفهم الذى نزل فيه الدين استمسك بالدين فدانت له الأرض فلم تطغه ولم تبطره ، وضرب للتاريخ المثل العملى الفرد لحكومة الله فى الأرض كيف تكون . فكانت تجربة أجراها الله فى الأرض لا يقدر على إجرائها غيره ، تحققت بها دعوى الاسلام أنه دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس ، لا يتحقق لهم كمال ولا سعادة إلا به ، أفراداً كانوا أو جماعات . وحسبك من كمال الفرد به . تطور النفس الجاهلية إلى مثل نفس عمر وأبى بكر وعلى وعثمان ، ومن إليهم من السابقين الأولين ، وحسبك من كمال البيئة الإنسانية وسعادتها تطور البيئة الجاهلية به إلى البيئة الإسلامية أيام الرسول الكريم صلوات الله عليه وفترة مذكورة بعد أيام الرسول

ثم أجرى المسلمون أنفسهم لسوء حظهم التجربة الأخرى التى يتم بها إثبات أن ذلك التطور المعجز الذى تطورته النفس البشرية لما خالطها الإسلام ، كان حقاً نتيجة للاسلام لا لغيره . وآية ذلك أن يزول الأثر إذا زال المؤثر ، كما يجرى فى أى تجربة علمية . وقد كان ، فزال عن النفس كمالها ومن البيئة عزها لما انخدعت عن دينها ، وتعطل أثر الإسلام فيها

فتاريخ المسلمين إذن فيه الخير وفيه الشر ، فيه تحقيق الاسلام عمليا وفيه تعطيله . وإذا كان قديم المسلمين يشمل الاثنين بالطبع لأنه عين تاريخهم فإن قديم الدين لا يمكن أن يشترك مع قديم أهله إلا فى ذلك الجزء الذى حققوا الإسلام فيه . فقديم الإسلام الذى نقصده والذى قصدناه بما كتبنا من قبل هو أولا كتاب الله وسنة رسوله ، وهو ثانيا ما طابق الكتاب والسنة من تاريخ المسلمين

وإذا فهمنا قديم الإسلام هذا الفهم وتم لنا تحديده هذا التحديد وجدنا أنفسنا أمام شىء يزول منه كل معنى للتفرقة الزمنية بين الأمور ، فلا يكون هناك محل فى الإسلام لفكرة القديم والجديد كما تفهم الآن . إن الإسلام دين الفطرة ، والفطرة عند التحقيق لا يتفاوت فيها فى دائرة الحق قديم ولا جديد . إنما يكون التفاوت والتناقض بين الحق والباطل . فكل جديد يخالف قديم الإسلام بالمعنى الذى حددناه هو جديد باطل ، نصيبه من البطلان بقدر ما بينه وبين الإسلام من خلاف . وكل ما جدّ للانسان من حق وقف عليه بعد جهل به فهو والحق الذى عرفه الإنسان من قبل سواء ، تشملهما الفطرة ، ويشملهما الإسلام الذى يشمل بتشريعه وروحه وكنفه جميع صور الحق وسننه فى جميع مدارج الحياة ، فى جميع مظاهر الكون ، ما عرف الإنسان منها وما سيعرف ، ما قدر له علمه فى هذه الدار وما قدر له بعد هذه الدار .

وليس فى الوجود دين ولا نظام جمع للانسان الخير كله والحق

كله وحذره من الباطل كله إلا الإسلام . والإنسان يستطيع إلى حد كبير تميز الحق من الباطل في دائرة المحسوس الذى يستطيع إخضاعه لتجاربه العلمية ، أما ما لا يستطيع إخضاعه لتجاربه مما يتعلق بحياة الإنسان الروحية فلا سبيل للوصول إلى الحق والخير فيه إلا بإرشاد الله فاطر الفطرة وبهدايته . وقد فعل سبحانه ، فضلاً منه على عباده ورحمة بهم أن يهلكوا إذا تركوا وشأنهم فيما يتعلق بحياة الروح ، فإن للروح سننها التي سنها الله كما لغير الروح سننه ، ولا مناص للانسان من اتباع سنن الله وإلا كان من الهالكين . فكان من رحمة الله بالإنسان أن مهد الله له سبيل النجاة والفلاح واطراد الرقى الروحى بالأديان التي أرسل بها رسله تترى حتى ختمها سبحانه وأتمها للانسانية في الإسلام

والعجيب الغريب من أمر الإنسان في عصرنا هذا أنه يحرص على اتباع سنن الله في عالم المادة ولا يحرص على سننه في عالم الروح . هذا عجيب لأن الذى يقدر سنن الفطرة ويبحث عنها ليستمسك بها في ميدان ينتظر منه أن يقدرها ويبحث عنها ليستمسك بها في غيره من الميادين . فإذا كان فاطر الفطرة سبحانه قد أنزل للإنسان هداية مبنية على سننه في الميدان الذى لا يملك الإنسان إجراء التجارب العلمية فيه كان ذلك أدعى لاغتباط الإنسان بتلك الهداية من باب أولى . وكان الأقرب إلى العقل أن يحرص الإنسان عليها إن كان مؤمناً بها عن يقين ، فإن لم يكن كان الأولى والأقرب إلى العقل أن يسارع الإنسان إلى بحثها وفحص منعاتها الدالة عليها ليصل فيها إلى حكم صحيح وقرار صريح . لكن الإنسان لا يفعل شيئاً من هذا . فلا المؤمن يحرص على الدين كما ينبغي ويدعو إليه كما ينبغي ، ولا الشاك يسرع إلى فحص الدين كما ينبغي ليصل فيه إلى قرار صحيح . وأغرب من هذا أن يسمح المؤمنون وهم كثير للشاكين وهم قليل في البيئة الإسلامية أن يبذروا شكهم وينشروه عن شمال ويمين ، في نفوس النشء من بنات وبنين

إن البيئة الإسلامية تحسن الدفاع عن نفسها إذا هوجمت في دينها صراحة ومواجهة من أمام ، لكنها لا تفقه أن الأمر يحتاج إلى دفاع حين يأتيها الخصم مداورة ويهاجمها في الإسلام بحركة التفاف : لقد ترك لدعاة الغرب الحبل على الغارب يقولون ما يشاءون ويبثون في نفوس صغارها وناشئيها ما يشاءون ما داموا يسلكون إلى ذلك طريق التلميح والإيحاء أو ما داموا لا يهاجمون التوحيد صراحة والقرآن . فلما غر كبيراً فيهم الغرور وظن أن الأوان قد آن لمهاجمة الدين مواجهة لا مداورة هبت الأمة كلها تذود حتى كادت تبطش به ، فلما انزوى عادت إلى نومتها الأولى كأن لم يبق هناك من حاجة إلى اليقظة والانتباه

وكان سلاح دعاة الغرب في مهاجمة الإسلام في صميم بلاده ونفوس أهله هو هذا الأدب الذى يسمونه بالجديد .

والأستاذ (قارى) يحدثنا أن الذين يسمون الآن بأصحاب المذهب الجديد كانوا في أول الحركة أو منذ ثلاثين سنة رجعيين يدعون إلى الرجوع في النمط الأدبي إلى العصر الجاهلي أيام كانت اللغة خالصة ، وكان أدبها خالياً من التكلف في الغزل والمحسنات اللفظية . لئن كان ذلك كذلك فما أظن حركتهم تلك في الأدب كان لها داع ما ، لأن كل ما وصفها الأستاذ به وقال إنها تطلبه كان متحققاً بالفعل على يد حافظ وغيره إن لم يكن قبله

ويقول الأستاذ إن أنصارها قرأوا الشعر الأوربي اتفاقاً « فرأوا أن مبادئ رجعيتهم هي مبادئ الأدب الأوربي الصحيح السليم ، وأن الأدب الأوربي يعينهم على تحقيق تلك الرجعية » ولسنا ندرى كيف يمكن أن يعين الأدب الأوربي على تحقيق تلك الرجعية التي وصفت . وإذا صح أن بعضهم كان كما قال ، فأكثرهم لم يكن كذلك أى لم يقرأ الشعر الأوربي اتفاقاً ولم ينصره لأنه يؤيد مبادئه الرجعية ، ولكنهم كانوا ممن درسوا الأدبين ، وأوحى إليهم الأدب الأوربي مبادئهم التي دعوا إليها خصوصاً ما سماه : « الرجوع إلى طريقة المتقدمين في إظهار كل شاعر خصائص نفسه وفكره ، وأن يباح له القول أكثر مما كان يباح للمتأخرين » . ولست أدرى ما ذا كان محرماً على المتأخرين ، وأراد أصحاب الجديد في أول الأمر أن يباح لهم ، وإنما الذى أدريه أن مبدأهم ذلك قد خرج بهم عن الحد ، وأدى إلى هذا الأدب الفاجر الذى يستطيع الأستاذ أن يضع يده فيه على ما شاء ، والذى يعتذر عنه بأن هناك أفجر منه في القديم

إن في القديم أفجر منه من غير شك وأكثر منه أضعافاً

كثيرة ؛ لكن التفاوت فى فحش القول ، أظن الفضل فيه يرجع إلى القانون، والكثرة راجعة من غير شك إلى تراكم القرون وتعدد الأمم وكثرة الناس وعظم نسبة قائلى الشعر فيهم ممن يحسنه ومن لا يحسنه . فليت شعرى إذا حسب أثر ذلك كله ماذا تكون النتيجة وماذا يبقى من دفاع الأستاذ؟ إنها نقطة طريفة، لكن مهما تكن نتيجتها فإنها لا قيمة لها فى الموضوع . فالقديم الذى ندافع عنه والذى إليه قصدنا من قبل ليس هو القديم الزمنى الذى ذهب إليه الأستاذ . ليس هو قديم المسلمين برهم وفاجرهم كما توهم الأستاذ خطأ ، ولكنه قديم الإسلام بالمعنى الذى فصلناه . وإذن فنقده الذى وجهه إلينا وبناه على المعنى الزمنى للجدة والقدم نقد ذاهب لا يتوجه إلينا منه شىء .

إن التفريق بين المذاهب والأعمال بحدوثها وقدمها كما يفعل كثيرون هو غير معقول، إنه تفريق تافه لأنه مبنى على شىء عارض هو الزمن يأتى ويمر من غير أن تكون له صلة بحقائق الأمور . إن قديم اليوم بمعناه الزمنى هو جديد أمس قد مضى ، وجديد اليوم هو قديم غد سيكون . فالجدة والقدم شىء عارض متغير لا وزن له فى قياس قيم الأشياء اللهم إلا المادى منها ، وليس فى كلها يطرد معناه . أما الأمور المعنوية التى تتصل بحياة الإنسان الروحية وصميم إنسانيته فلا بد لقياسها والمفاضلة بينها من معيار آخر ثابت على الزمان هو معيار الحق والصدق والخير . وقد أنزل الله الدين ليهدى الإنسان إلى ما لا يستطيع الاهتداء إليه من هذا ما دامت حياته ونجاته وإنسانيته متوقفة عليه . من أجل ذلك تركنا المعيار الزمنى الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، وقررنا ما كنا نظن أنه بديهى واضح من أن المعيار الثابت للحق والخير يجب أن يلتمس لا فى جديد الغرب ولكن فى قديم الإسلام ، أى فى الإسلام كما أنزله فاطر الفطرة على الإنسان الكامل والرسول الخاتم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه

لقد قررنا هذا الأصل من قبل ولا نزال نقرره . قررناه حين كتبنا نقدنا التحليلى لكتاب الأدب الجاهلى وأخذنا على صاحبه فيما أخذنا نشره مجون الأدب الغربى فيما كان يلخص للهلال من روايات فاجرة كرواية الزنبقة الحمراء ، ونشره مجون الأدب العربى فيما كتب عن أبى نواس ووالبة ومن إليهما فى حديث الأربعاء . وها هو ذا صاحبه يدعو فى أحدث كتاب له إلى الأخذ بحضارة الغرب كلها خيرها وشرها حلوها ومرها كأنما أراد أن يصدق ما قلنا فى كلمتنا الأولى التى انتقد الأستاذ (قارئ) من أن « الذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الإسلام فى أكثره » . فنحن حين صورنا الخلاف بين أنصار قديم الإسلام وجديد الغرب كما صورنا إنما كنا نصف واقعاً مشهوداً، والأستاذ (قارئ) يصف من حركة الجديد تاريخاً غير مشهود مر ، على قصر الفترة التى كانت منذ بدأ ، وصار إلى هذا الجديد الذى يغلب على الحركة الآن وغلب عليها من زمان — بالنسبة إلى عمرها — طويل

والأستاذ (قارئ) يجعل للأسلوب والطريقة واللغة مكاناً كبيراً فى حركته التى وصف ، وإنى أعرف أن الأسلوب واللغة والطريقة هى مدار الخلاف بين من يعرفون بأنصار الجديد وأنصار القديم كما أعرف للأسلوب والطريقة واللغة مكانها فى الأدب . لكنى لا أحلها مع ذلك المحل الأول ، وإنما أجعل لروح الأدب المقام الأول فى الحكم عليه . وأنا فى ذلك تابع غير مبتدع، تابع للقرآن مهتد بما سنه للناس

فلحكمة كبرى جعل الله معجزة دينه معجزة أدبية باقية على الدهر وجعل رسوله أفصح الناس . وليس أصغر ما فى تلك الحكمة التنويه بالأدب والتنبيه إلى أن قوته الهائلة ينبغى أن تكون عوناً للحق والخير على الشر والباطل فى حياة الإنسان، فهذا تشريع منه سبحانه وهدى للناس فى الأدب كان ينبغى عليهم أن يتبعوه . ولقد اتبعوه بالفعل فى عهد الرسول وفى أكثر عهد الخلفاء الراشدين، ثم جاء عمر بن أبى ربيعة الذى لو أدرك عهد عمر بن الخطاب لجلده ونفاه ولكف من غرب مجونه الذى فتح فى الأدب باب الشر والمجون على الناس. وصلوات الله على رسول الله لقد نبه الناس لو كانوا ينتبهون: نبههم إلى أن الشيطان يئس أن يعبد فى أرضهم ورضى أن يطاع فيما يحقرون من أعمالهم . وكان مما حقروا القول الماجن ما داموا لا يرتكبون بالفعل ما يفترون فيه . وظن ابن أبى ربيعة أنه إذا قال ولم يأت شيئاً مما قال فليس عليه عند الله وزر ، ونسى حديث الرسول الذى أنبأ فيه الناس أن الله قد تجاوز لهم عن حديث النفس ما لم تعمل أو تكلم ، والحديث الذى نبه فيه صلوات الله عليه

الناس أن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . ووقع ابن أبى ربيعة فى الحرجين واحتمل الوزرين كليهما فوصف حديث نفسه كلاماً تبعه فيه العرجى ومن لف لفه فانحرفوا بالأدب العربى عن الطريق الذى اختطه له القرآن إلى الطريق الذى تمناه الشيطان لينفذ منه إلى النفس المسلمة يفسدها قليلاً بعد قليل وجيلاً بعد جيل

فالأدب العربى ككل أدب إنسانى يجب أن يحكم عليه أول مايحكم لا بأسلوبه ولا بطريقته ولا بلغته. ولكن قبل كل شيء بأثره فى النفس أي بأثره فى حياة الفرد وفى حياة المجموع . فإن كان أثره صالحاً يعين النفس على رقيها ويهديها إلى ربها فهو أدب صالح كريم ، وعندئذ تكون بلاغته وما يمكن أن يتصف به من مميزات أخرى حسنات له توضع فى ميزانه. أما إذا كان سيئ الأثر يثير فى النفس شهواتها ويصرفها عن هداها فهو أدب فاسد غير كريم مهما ملك صاحبه من عنان اللغة ومهما امتاز فى الأسلوب، بل مميزاته فى اللغة وفى الأسلوب تكون عندئذ من سيئاته لأنها تجعله أقدر على إفساد نفس الإنسان . من أجل ذلك جعلنا الأدب فيما كتبنا قسمين : قرآنياً وغير قرآنى، أو أخلاقياً وغير أخلاقى، حسب أثره فى النفوس لا فرق فى ذلك بين القديم منه والجديد

والأدب الجديد كان له أسوأ الأثر فى النفس المسلمة خصوصاً النفس التى لا تعرف من دينها ما تستطيع أن تدفع به عادية ذلك الأدب على مكان الدين منها ليفتنها بجديد الغرب عن قديم الاسلام. ولقد قلنا من أجل ذلك إن المسألة بين القديم والجديد هى فى صميمها مسألة اختيار بين دين ودين، فظن الأستاذ أننا نريد أن الجديد يريد أن يحل المسيحية محل الاسلام ، وليس كذلك . إن المهم ليس هو ذات ما يتخذ بدلاً من الاسلام ، ولكن هو مجرد الانصراف عن الاسلام . وماذا يهم إذا انصرف المسلم عن الاسلام أى شيء اتخذ أو على ماذا أقبل؟ إنه إذا استدبر الإسلام لا بد مستقبل غيره؛ وإذا أحله من نفسه المحل الثانى فهو لا بد محل غيره المحل الأول ؛ وإذا عصاه فهو لا بد مطيع سواه . هذا الذى يستقبل ويكبر ويطيع بدلاً من الإسلام هو الدين الذى اتخذه أو يتخذه المسلم المفتون بالغرب بدلا من دينه . وليس يهم أدين هو معروف فى الأديان أم هوى هو بين الأهواء أم وهم من الأوهام

واستعمالنا لفظ دين بهذا المعنى استعمال عرفى صحيح . فالدين فى الأصل معناه الخضوع ومن أخص خصائصه العبادة ، وقد جعل الله سبحانه طاعة الناس للشيطان عبادة منهم للشيطان فى قوله (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) . وأوضح أن الناس لم يعبدوا الشيطان عبادة سجود ولكن يكفى من عبادتهم إياه أنهم أطاعوه فأضلهم عن سبيل الله . كذلك قد جعل الله اتباع الإنسان هوى نفسه عبادة للهوى واتخاذاً إياه إلهاً من دون الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً) (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) . فأساس التدين اتباع الدين والخضوع لله طوعاً ما للانسان خيار فيه . فإذا غلب الانسان على دينه شيئاً آخر يدين له بالطاعة من قلبه فذلك الشيء هو فى الواقع دين له بدلاً من دينه الذى ينتسب بالاسم إليه؛ وإذن فنحن لم نغرب ولم نخرج عن حدود اللغة ولا عن الاستعمال القرآنى حين أطلقنا لفظ الدين على كل ما يحل فى قلب المسلم محل دينه . ونحن لم نظلم دعاة جديد الغرب حين قلنا إن جديدهم فى الأدب ليس مقصوراً على الأسلوب والطريقة ولكنه فى صميمه إحلال دين مكان دين ما دام منحى ذلك الأدب التماس المثل العليا واقتباسها من الغرب لا من الاسلام ولا من القرآن

محمد أحمد الغمراوى

استطلاع صحفي (ريبورتاج)

الأندية الأدبية في مصر

(لمندوب الرسالة)

— سأكتب عن الأندية الأدبية في مصر ...

— وأين هي يا أخي تلك الأندية الأدبية التي في مصر ؟ !

ذلك ما قلته لصديقي الشاعر « الخفيف » وكنا في ندوة الرسالة ، وهذا ما أجابني به في لهجة قاسية منكراً أن تكون في مصر أندية للأدب . وهذا أيضاً ما سيقوله جل قراء الرسالة — إن لم يكن كلهم — وسينكرون أن تكون في مصر أندية للأدب . وربما يسألون : ما شأن هذه الأندية ؟ ومتى وجدت ؟ وأين توجد ؟ وما بالنا لا نعرف عنها أي شيء ؟ .. وهذا هو الذي حفزني للكتابة عن هذه الأندية ، وحملني على أن أكشف للناس — بل ولكثير من الأدباء أنفسهم — عن ناحية مستورة في حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره في وجهتنا الثقافية

نعم ليس في مصر أندية للأدب بالمعنى الضخم الذي يوحيه إليك هذا التعبير الضخم ، فتتخيل العمائر الشاهقة التي شيدتها الحكومة أو شيدتها الجمعيات الأدبية المنظمة وجعلتها في تأسيسها وفي أثاثها بهجة الناظر ومتعة الخاطر ، لتكون مجمعاً لأهل الأدب ومسرحاً لأرباب القلم ، كما هو الشأن في الأمم الراقية التي تحترم الفن ، وتقدر نتاج الفكر ، وإنما الأندية الأدبية في مصر إما مقاه عامة تتسع لغمار الناس وجميع الطبقات ، وربما تكون ضئيلة الرواء تافهة الموقع ، وإنما ينزع إليها الأدباء لود قديم ، أو لمعنى يتصل بحياتهم المادية والروحية ، وإما بيوت لها مجد تالد ، وتاريخ حديث يتصل بتاريخ غابر ، فأصحابها يقربون أهل الأدب ويفسحون لهم في صدور بيوتهم يسمرون ويتندرون ، ويمتدحون بل ويذمون ، ويتوثبون من حديث إلى حديث بين أكواب الشاي وأقداح القهوة

وهذه الأندية على بساطتها لها أثر كبير في حياتنا الأدبية ، وإن ما يجرى فيها لصورة صحيحة لثقافتنا ووجهتنا في الأدب والشعر والنقد وكل ضروب المعارف التي نحذقها ، والتي لا نحذقها . وأنت لا شك تجهل كثيراً من نواحينا الفكرية وسياستنا الأدبية ، ومدى الصلة بين ثقافتنا وأخلاقنا . وأنت لا شك تخطئ كل الخطأ إذا كنت تحسب أنك قادر على فهم أدبائنا حق الفهم من كتاباتهم التي يزورونها للناس ، من غير أن تنتقل إلى هذه الأندية ، تجول بين جنباتها ، وتندمج في جماعاتها ، فتحاور وتداور ، وتقول وتسمع ، وترضى وتغضب ، وتنفلت معهم من كل قيد ، وتخرج على كل وضع ، وتكون حاضراً بعقلك وقلبك وعواطفك ، حتى تنبسط أمامك النفوس ، وتنكشف لك السرائر ، ويعلن كل مخفيّ ومطويّ ، فيتبين لك القوم بعقلهم الواعي ، وما يسمونه بالعقل الباطن

لقد خرجت منذ عامين برفقة صديق عزيز إلى بساتين القناطر الخيرية في يوم عيد الربيع ، فرأينا الناس قد احتشدت هناك على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباين طبقاتهم ومراتبهم ، ورأيناهم قد خرجوا من وقارهم ، واستهانوا بكل ما اصطلح الناس عليه من الأخلاق والتقاليد ، واندفعوا في يقظة العواطف ، ورغبات القلوب ، وشهوات الجسد ، ما وسعهم الجهد في ذلك ، فكنت أنظر إليهم في فزع وجزع ، فمال عليّ صاحبي وهو يقول : لا تفزع ولا تجزع ، فإن هذه — لو علمت — هي حال الناس بين الجدران ، وتلك طبيعتهم من وراء الحيطان ، وثق أن ما يظهر به الناس في الخارج من سمات الوقار ومظاهر الاحتشام إنما هو شيء متكلف مزوّر ، وإنه ليغطي وجه الحق على كثير من الناظرين . ولو قدر للشمس أن تشرق على جميع الناس ، وأذن للحجب أن تهتك عما وراءها لرأيت الناس في طبيعتهم الصريحة وحقيقتهم الصحيحة ، وما حقيقتهم إلا ما ترى ياصاحبي .

وهذا الذي قاله صاحبي في الناس بالأمس ، هو ما أقوله في أصحابي الأدباء اليوم ، فهم في كتاباتهم قد يحجبون حقيقتهم ويزوّرون في طبيعتهم ، ويظهرون في غير لباسهم ، توخيا لمصلحة يرجونها أو رهبة لسيطرة القوانين والتقاليد ، أو رعاية لروابط الصداقة وصلات المودة بينهم وبين الناس . فتراهم يبدون الرأي في احتراس ، ويحكمون على الأشياء بقدر ، ويخدعون ضمائرهم

فيحسنون ما ليس بالحسن ، وهم على عكس هـذا كله فى أنديتهم الأدبية ، ومواطن سمرهم وصفوهم ، صرحاء وضحاء ، لا يقتصدون فى شىء ولا يبقون على شىء ، فتسمع منهم الرأى الصحيح والتقدير الصريح والنقد العنيف ، والأحكام القاسية التى تتصل بالآثار وبالشخصيات وتتناول الأفراد والجماعات، وربما يفزعك هذا النقد بأسلوبه، وربما تنكره على أصحابه، ولكنك لاشك ستجد فيه كثيراً من الصراحة المحمودة ، والتقدير الحق . وأذكر أن أديباً كبيراً أعرفه كتب مقالا فى تقريظ صاحب له فى إحدى الصحف، فهول وبالغ ومجد وقدّس حتى طار بصاحبه إلى السماء، فلما قابلته فى المساء حيث يجلس مع إخوانه للمسامرة ، ذكر لى أن ما كتبه إنما هو تمويه فى الحق ، وتدليس على الناس ، وأن صاحبه ليس فى قليل ولا كثير فيما كتب عنه ، ولكنها الضرورة قاتلها الله ، وللضرورة حكم أقل ما يقال فيه أنه يفصل بين المرء وبين ضميره .

ولقد ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقال نشره منذ أعوام ، أن الدكتور طه حسين أسر إليه فى مجلس من المجالس أن «شوقى» فى رأيه أكبر شاعر فى العربية ، وأنه كان يود أن يقدم ديوانه للقراء، على حين كان الدكتور طه فى ذلك الوقت يذيع فى الناس أن « شوقى » لا يد له فى الشعر ولا رجل ، وأنه شاعر يغنى على أطلال القديم ، فيغنى عنه أضأل شاعر فى القديم ! ! ومن ثمّ تعلم أن أدباءنا فى مجالسهم شىء ، وهم فى كتاباتهم شىء آخر ...

وإلى جانب هذا نجد فى أنديتنا الأدبية ناحية مشرقة، فهى مجلس الدعابة البارعة، والروح المصرية المرحة، ولعلك تعلم أن الدعابة إنما هى الجانب المشرق من الحياة ، وهى عنوان ما فى السرائر المكتومة ، ومظهر من مظاهر الأخلاق والثقافة ، وعنصر يهتم به الدارسون لنفسيات الأمم وطبائع الشعوب . وليس من شك فى أن شخصية الأديب قد تتجلى واضحة مكشوفة فى نكتة يلقيها على بساط الشراب ، وربما لا يظهر لها ظل فى جميع مؤلفاته ولو بلغت ألف كتاب . ولأدبائنا فى مناحى الدعابة ذراع رحب ، ولسان طويل... ولكنهم لا يهتمون أو قل يتحرجون من تسجيل ذلك وإذاعته فى الناس ، ولا شك أننا فرطنا فى كثير إذ أهملنا ما كان يجرى فى مجالس البابلى وحافظ وإمام العبد وأندادهم ، فلم نسجل شيئاً من أحاديثهم . ولم نحفل بنوادرهم وقفشاتهم ، على أنها كانت ثروة طيّبة ، وناحية حافلة بالأنس والسمر ، ومن العجيب أن القدماء كانوا أجدى منا فى ذلك وأحفل به ، ولعل مرجع هذا إلى أنهم كانوا يكتبون للخاصة فكانوا ينطلقون على طبيعتهم فلا يتأثمون من تعبير ، ولا يترمتون من لفظ ، ولكننا نكتب لجميع الناس ، وكتاباتنا تتصل بمختلف الأوساط ، فكان لا بد أن نعف عن كل ما يخدش الحياء ، ويؤذى الأذن كما يزعمون !

ومن بعد هذا ومن قبله ، نجد تلك الأندية تعمل كثيراً فى نهضتنا الأدبية ، وفى وجهتنا الثقافية ، فكثيراً ما تتشاجر الآراء ، وتقوم المجادلات بين القوم حول المعركة بين القديم والجديد ، أو فى المقارنة بين شوقى وحافظ ، أو المفاضلة بين طه والعقاد ، وقد يخرجون من القول فى الأدب إلى الكلام فى السياسة وما يجرى من التطاحن بين الأحزاب ، وفى هذه الأحاديث وأفعالها يفضى كل بما عنده، فتكون الإفادة والاستفادة.

فنحن إذ نكتب عن الأندية الأدبية فى مصر ، إنما نكشف — كما قلنا — عن ناحية مستورة فى حياتنا الأدبية ، ومؤثر له شأنه وخطره فى وجهتنا الثقافية ، ونصور للناس صورة مشرقة بالمرح والصفو يطل منها أدباؤنا بطبيعتهم الصحيحة ، وحقيقتهم الصريحة . وموعدنا المقال القادم لنقف عند أول ناد هبطت عليه يوم هبطت على القاهرة ، وسأعرف كيف أقنع صاحبى الشاعر « الخفيف » الظريف .

« م . ف . ع »



بين المـــرأة والرجل

هل الشرق شرق والغرب غرب فى كل شىء ؟

للآنسة زينب الحكيم

كان من بين البلاد التى زرتها أثناء رحلتى الطويلة بلاد كردستان . ولقد كانت من أعظم المخاطرات وأكثرها فائدة ، ذلك لأنى اكتشفت عالماً مجهولاً للكثيرين . أما ما قمت به من مخاطرات ، وما وصلت إليه من دراسات متنوعة فسأكتب عنه فى غير هذه المناسبة . وأخص هذه الرسالة بشىء من الأدب الكردى الذى حُبِّبت إلىّ دراسته وتقصيه ، لأثبت أنه على قدر ماوجدت تبايناً كثيراً بين الشرق والغرب فى كثير من الموازنات التى عملتها ، وجدت تشابهاً عظيماً بينهما بحيث نستطيع معه تحديد تباين الشرق عن الغرب ، أو توافقهما فى وجهات لا تحتمل الجدل مثل النواحى العاطفية ، والروحانيات ، وتصرف المرأة هنا وهناك


الشاعر الكردى يستوحى إلهامه

وإنى لذاكرة فيما يلى قصة أدبية ، وهى عبارة عن قطعة تمثيلية غنائية عنوانها « الوردة الدامية » من نظم الشاعر الكردى الشاب الأستاذ عبد الله سليمان (كوران) من أهالى السليمانية عاصمة كردستان وقد ترجمتها نثراً إلى اللغة العربية

الوردة الدامية

حوار بين فتى وفتاة :

الفتى — هناك يافتاتى فى ذلك البيت حفلة زفاف ورقص وفرح
ألا تسمعين أنغام الناى ، ودقات الطبول المرقصة ؟
ألا ترين الزحام الباهر من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ؟
كم أود أن أسمع هناك رنَّات حليتك الفضية وأنت ترقصين !
هيَّا ... بربك ، هيَّا ... نلحق بهم إذن
ونرقص ونرقص إلى أن يشبع فؤادى ...

الفتاة — كلا أيها الفتى ، لن أذهب ولن أرقص معك
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ووردة صفراء

الفتى — يا فتاتى أستحلفك بجمالك ودلالك ولحاظك الساحرة فى طريقك إلى عين الماء
أنظرى إلى الأوراق المتساقطة . أنظرى إلى الأغصان العارية .
إننا فى فصل الخريف ...
أين نحن من الورود ؟ ثم لماذا الورود ؟
أليست شفتاك المتفتحتان بالبسمة الجميلة أجمل من كل شىء ... ومن الورود ؟

الفتاة — لا يا فتى ، لن أذهب ولن أرقص معك ،
ما دامت لا تزين رأسى وردة حمراء ، ووردة صفراء !
لو كنتَ مانحاً قلبك لى بكليته حقيقة
لاستطعت إحضارهما من حديقة الأمير
وكل ما أطلب وردتان فقط !

* * *

يذهب فتى ويغنى متمتماً

الفتى — حديقة الأمير ... بينى وبينها نهر يفيض ويثور ،
وتحيط بها قبائل معادية لا ترحم
إذا ذهبتُ : فالطريق وعر ولا أمل لى بالرجوع ،
وإذا لم أذهب :

آه ! ! لن ترقص معى فتاتى ، ذات العيون الساحرة

« يبتعد عن القرية شيئاً فشيئاً »

— ٢ —

الفتى — توغلت فى حديقة الأمير ، من أقصاها إلى أقصاها

أما الوردة الصفراء فها كها . أما الحمراء فلم أجدها وأأسفاه .

لست أدرى أترضين الآن أن تراقصينى ؟

الفتاة — لا ... لن أراقصك .. لن أراقصك . . . من غير الوردة الحمراء الجميلة

الفتى — « يفك ياقة قميصه مشيراً إلى الصدر فى محل القلب » ألا تقبلين هذا الجرح الدامى ، بديلاً عن وردتك يا فتاتى ؟

الفتاة — والهفى ... أأصابك رصاص العدو ؟

أتسقط هكذا من شدة الألم ؟

إذن ضع رأسك على صدرى وأنت تحتضر ،

ولأبك على قلب افتقدته من أجل وردة

* * *

هـذه القصة التى تعبر بروعة خيالها عن حقيقة عقلية الرجل الكردى ، إنما تعبر ضمناً عن ناحية من نواحى نفسية المرأة الكردية المعروفة بقوة الإرادة والشجاعة والحسن الفائق ، والنفسية المرحة السامية ، والعقلية الخصيبة على جدب معينها العلمى ، وقسوة بيئتها وإن عوضها جمال مناظر جبالها ، وجودة هوائها ، وكثرة ثمارها كثيراً مما تفتقده من أسباب الحياة الرغيدة ، ونور العلم وميزات المدينة . والمرأة الكردية على غمرة عواطفها أمينة فى الحب ، قاسية فيه ، مضحية إلى الموت ، ولكنها صلبة الرأى إلى درجة شاذة انتصاراً لمبدأ أو إخلاصاً لحبيب أو صديق ، كما أنها على لطافة خلقها شرسة منتقمة إذا أرادت

هذه القصة من الأدب الكردى أذكرتنى بحادثتين وقعتا لرجلين من مشاهير الرجال أذكرها فيما يلى ، حتى ترى أن ليس الشرق شرقاً والغرب غرباً فى كل شىء

(١) **قفاز**

سمعت قصة هذا القفاز زمناً طويلاً من الجدات والكهول ، عن سيدة كان مغرماً بها دى لورج «De Lorge» الضابط النابه الذى كان فى صغره من أشجع وأشهر قواد اللواء المشاة فى أيام فرنسوا الأول ملك فرنسا (١٥١٥ — ١٥٤٧) .

وكان الملك فرنسوا هـذا مغرماً باقتناء الوحوش الضارية ومشاهدة صراعها فى حديقة الوحوش التى أقامها لها خاصة .

ففى ذات مرة ، بينما الملك يشاهد الشجار مع حاشية من عظماء مملكته ، ومن بينهم سيدات يجلسن فى مقاصير أنيقة ، إذا بواحدة منهن تلقى بقفازها بين الأسود ، وهى فى أشد حالات الغضب والشراسة ، وتوجهت إلى عاشقها دى لورج الفارس النبيل طالبة إليه باستخفاف أن يعيد إليها قفازها ليؤكد أن حبه لها عظيم كما يقول ، ولكى تحقق من ناحية أخرى صدق شهرته أمام الجمهور الذى طالما تحدث عن شجاعته .



فانبرى الفارس مسرعاً دون أن تبدو عليه دهشة أو تردد ، وأخذ عباءته فى إحدى يديه ، وسيفه فى اليد الأخرى ، ثم دخل بجسارة نادرة فى ساحة مساجلة الأسود ، وحالفه الحظ فى التقاط القفاز من بينها ، وعاد به إلى سيدته بين إعجاب الحضور وهتافهم . وتبسمت له الحسناء ابتسامة الرضى والسرور

ولكن الضابط الهمام لم يأبه لإعجابها ، واعتبر سلوكها معه ضغينة مبيتة ، ولهذا رمى القفاز فى وجهها معرضاً عن أى شكر ومتحرراً من غرامه . وبذلك أقصاها إلى الأبد

(ب) منديل

كان للقائد العظيم دى جينليز de Jenlis الذى مات فى ألمانيا وهو يقود فرق الهوجينوت Huguenot فى الحرب الدينية الثالثة حسناء أغرم بها جداً فمرة كان يعبر وإياها النهر من أمام اللوفر ، فأسقطت منديلها الفاخر فى الماء عمداً ، وطلبت إليه أن يغوص فى النهر ليعيد إليها منديلها . ولكنه لجهله بالسباحة اتخذ من ذلك مبرراً حسناً للاعتذار إليها

ولكنها لم تقنع — ولامته — بل اتهمته بأنه عاشق خائن جبان . فما كان من القائد الشجاع إلا أن ألقى بنفسه فى النهر دون أن ينبس ببنت شفة ، وحاول البحث عن المنديل عبثاً ، مضحياً بحياته لو لم يدركه قارب النجاة على الفور

نختتم بقصة شرقية مشابهة فيما يلى :

قصة ايرانية

الشاعر نظامى الإيرانى أشهر من نار على علم ، يرى فى مخطوط من كتابه « هفت بيكر » المحفوظ فى نيويورك ، صورة ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، توضح أيضاً تشابه تصرف المرأة الشرقية وتصرف الغربية فى نفس الحقبة من الزمن

ذلك أن الصورة تمثل « بهرام جور » ملك إيران يثبت لحبيبته فروسيته ومهارته فى الرماية ، بإجابتها إلى ما طلبته منه وهو أن يلصق السهم وحافر حمار الوحش بأذنه . وقد توصل إلى ذلك بأن ضرب حمار الوحش فى أذنه بقطعة من الطين الجاف ، فلما رفع الحمار حافره ليحك أذنه من أثر الضربة ، رماه بهرام جور بسهم ثبّت به حافره بأذنه

هذه قصص أربع أود لو تتفضل القارئات ومن يرغب من حضرات القراء بإبداء رأى فيها ، نصل من ورائه إلى مبدأ نؤسس عليه معاملة المرأة للرجل وبالعكس ، ولا سيما فى طور الخطبة

زينب الحكيم



قصة العلم التجريبي

الذروة التي بلغها البحث العلمي

للدكتور محمد محمود غالي

يعتمد العلماء اليوم على منابع أربعة للتجديد العلمي : الميراث العلمي، والبحث النظري، والبحث التجريبي، والتعمق العقلي في حقائق الاشياء ووضعها في قوانين لاتتعارض مع النتائج النظرية والتجريبية

ولن أتناول بالبحث في هذه المقدمة الميراث العلمي فقد أشرنا إلى الدرجة التي وصل إليها من العظم حتى أصبح غير ميسور لباحث أن يتعرف في فرع واحد من العلوم كل ما ينشر فيه . أما البحث النظري فقد أصبح من القوة بحيث لا يستطيع المشتغلون بالعلوم التجريبية والذين تستنزف التجارب بين جدران المعامل كل أوقاتهم ، الاستغناء عن تتبع التطورات التي تحدث في كل عام من الناحية النظرية، وإن في أعمال إينشتاين وبلانك ودي بروي وشرودنجر ما يدل على ما للطبيعة النظرية من القوة اليوم

أذكر أني طالعت منذ عشرة سنوات في إحدى صحف الصباح بباريس أن لويس دي بروي Louis de Broglie ، وكان عمره في ذلك الوقت حوالى خمسة وثلاثين عاماً حاز جائزة نوبل في الطبيعة وكان كل ما بلغه من منصب علمي وظيفة محاضر في السوربون Maitre de Conference وفي مساء نفس اليوم حضر كعادته للمعمل الذي كنت أعمل فيه بالسوربون الأستاذ موتون ، وهو عريق في منصب الأستاذية فأردت أن ألم بشيء عن دي بروي فقال لي : « لا تظن أني أعرف عنه أكثر مما تعرف » ، وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ ، وقبيل وفاة الأستاذ موتون ذكر لي وهو طريح الفراش في مستشفى معهد باستير ، وكنت أطالع له عملي : « لم يصبح لدينا من الوقت ما يكفي لتتبع دي بروي وفرانسيس بران[1] (Francis Perrin) ولا أنصحك أن تنفق وقتاً كبيراً لتتبعهم ، ولكن يظهر لي أن عالم التخمين لم يصبح أقل أهمية من عالم التجارب »

أما البحث التجريبي في العلوم الطبيعية فقد بلغ ذروة تدل عليها التطبيقات التي تمت داخل معامل الابحاث وخارجها مثل الاختراعات العديدة التي أصبحت تتداخل في جزء من حياتنا اليومية

ولنضرب الآن أمثلة من التقدم في دائرة معامل البحث ونشير إلى شيء من المقدرة التي أبداها العلماء في القيام بالتجارب العلمية . ولعل في إشارتنا ما يجعل جماعة ممتهني العلوم الكيميائية والطبيعية الذين يشبهون في حياتهم كيميائي القرون الوسطى Al-chemistes وهم كثيرون بيننا يستفيدون من الرجوع لهذه المقالات . ويقيننا أنهم إذا طالعوا بإمعان ما تتضمنه مقالاتنا سيطفئون مشاعلهم التي أفسدت الجو بدخانها ويفارقون بوادق صهوت الكثير من نقود أصحابها ويوقنون أن قصة المعامل اليوم تخالف قصتهم وأن العلماء اليوم متجهون اتجاهاً آخر في مباحث بلغت من القوة شأواً حمل الناس على الايمان بها والتسليم بسموها وعظمتها .

خذ مثلاً من العلم التجريبي كان النجاح فيه لأستاذين لا زمناهما وجاورناهما في معاملهما طويلاً هما كوتون وموتون، ففي سنة ١٩٠٦ استطاعا بإنارة معينة للجسيمات الميكروسكوبية أن يكتشفا ما نسميه اليوم الألترا ميكروسكوب وهو ميكروسكوب عادي إلا أن الجسيمات المراد فحصها تضاء بطريقة تسمح رؤية الجسيمات المتناهية في الصغر والتي لا يكشفها الميكروسكوب أو على الأقل تسمح برؤية مواضع

(١) عالم حديث وهو ابن جان بيران Jean Berrin الحائز لجائزة نوبل والمعروف باكتشافه بشحنة الألكترون. وفرنسيس بران مدرس بالسوربون ولا شك أنه من المرشحين لجائزة نوبل

هذه الجسيمات ، خذ النتائج السريعة لمثل هذا الاكتشاف العلمي فقد استطاع جان بران في سنة ١٩٠٨ أن يتتبع حركة جسيمات صغيرة جداً كالجسيمات المعلقة مثلاً في نقطة من الحبر [١] وهي حركة مبنية على قوانين الصدفة إلا أنها نوع من الصدفة المنظمة — أماسبب حركة هذه الجسيمات فهو حركة دائمة في جزئيات الماء نفسه التي تتصادم مع هذه الكرات المعلقة في السائل فتحركها معها، وهذه الحركة الدائمة في كل سائل هي التي تسبب ضغط السائل على جدران الإناء . وقد استطاع بيران (بإدخال حسابات قام بها العالم المعروف أينشتاين) أن يدرس نظام توزيع هذه الجسيمات الصلبة داخل السائل واستنتج من ذلك نتائج علمية عظيمة الأثر منها تحديده لعدد جزئيات الغازات في حجم محدود [٢] ومنها معرفته لشحنة أصغر جسيم كهربائي أو وحدة الكهرباء (الالكترون Electron)

وللألكترون أهمية كبرى ويكفي أن يعرف القارئ أن العلماء يتجهون الآن إلى تحديد كل ما نراه وحصر كل ما يكون العالم في أربعة أنواع من الجسيمات المتناهية في الصغر هي الألكترون والبوزتون والنيترون والفوتون . وسنأتي في مقالاتنا القادمة على شرح كل واحد من هذه الجسيمات الأولى الأربعة المكونة للخليقة وعلى الظروف التي أدت إلى اكتشاف كل منها ، وإنما أردنا أن ندل القارئ على أن اكتشاف الألتراميكرسكوب واكتشاف الألكترون كانا عملين أحدهما مساعد للآخر . ومما يجدر بالذكر أن الالترامیکروسكوب لعب دوراً كبيراً في تجارب مليكان الخالدة التي فصل فيها جسيما واحداً يحمل الكترونا حرا [٣] واحداً، هذه التجارب التي آمل أن أفصلها يوماً لقراء الرسالة ولكن لا أترك الألكترون دون أن أعطى القارئ فكرة عن حجمه أو كتلته

تصور أنك تدخن سيجارة وأنت جالس في الشمس وتصور أن تركت أطراف السيجارة على أصبعك بعض آثار الورق المذهب بحيث أن أشعة الشمس تساعدك عند النظر لأصبعك أن تكشف بالعين أحد هذه الجسيمات البراقة المتناهية في الصغر والتي تركتها السيجارة . إذا تصورت هذا وأردت أن تتصور الالكترون فاعلم أن حجم هذا الجسيم الصغير يحوى ملايين المرات حجم الالكترون الواحد ، فإن نسبته لهذا الجسيم البراق الصغير جداً كالنسبة بين الأخير وبين المكتب الذى أكتب عليه الآن هذا المقال

يمكنك أن تتصور أيضاً أنك تأكل تيناً وأنه قد أصاب أصبعك إحدى أشواكه الصغيرة — إنه يلزمك في العادة ملقاط لإخراج هذه الشوكة التي إذا خرجت تراها بصعوبة بالعين المجردة ، إن هذه الشوكة ربما تحوى من الألكترونات قدر ما تحوى شجرة التين من الشوك . هذا هو الالكترون الذى استطاع مليكان أن يفصل جسيما واحداً يحمل الكترونا حرا واحداً ويرى موضع هذا الجسيم بل ويرفعه ويخفضه كما يشاء

إلى هذا الحد وصل العلم التجريبي في سنة ١٩٠٩ أيام تجارب بيران ومليكان . أما اليوم وقد مضى ثلاثون عاماً على هذه التجارب فاذا أقصه عليك في هذه المقدمة التي أرجو من ورائها للقارئ إيماناً علمياً يشبه إيمان العوام. ولهذا أكتفي بالتنويه بثلاثة موضوعات كأمثلة جديدة في العلم التجريبي الحديث

الموضوع الأول : تصل إلينا أشعة يسمونها اليوم الأشعة الكونية سأجعلها موضوع مقال خاص في أعداد الرسالة القادمة . تخترق هذه الأشعة سقوف منازلنا كما تخترق أجسامنا وهي مكونة من الألكترونات السابقة الذكر وبوزيتونات سريعة ، وليست الشمس هي مصدر هذه الأشعة كما يتبادر للذهن وذلك لأسباب سنذكرها عند ما نتكلم عليها بالتفصيل

لقد أمكن اليوم بما يسمونه أنبوبة ولسون Chambre de Wilson عد هذه الالكترونات في اتجاه معين بل وسماعها كما تسمع صديقاً لك ورسمها على اللوح الفوتغرافي كما ترسم طفلك يوم عيد ميلاده وذلك بعد أن تخترق هذه الجسيمات ما سمكه حوالى خمسة أمتار من مادة الرصاص

الموضوع الثاني : إنه من الممكن اليوم أن نطلق بالوناً صغيراً يحمل ترمومتراً لقياس الحرارة وبارومتراً لتسجيل الارتفاع والضغط الجوى وهيجرومتراً لتسجيل درجة الرطوبة ، وأن يكون بهذا البالون محطة لاسلكية ولا يزن بمحطته وبكل هذه الأجهزة سوى كيلو جرام واحد ، وهذا البالون يسجل بمفرده درجات

(١) الجسيمات التي استعملها بران بالذات كانت كرات صغيرة جداً من مادة « الجوم جيت »
(٢) هذا العدد معروف باسم عدد أفوجادرو
(٣) Electron libre

الحرارة والضغط الجوى والرطوبة ويرسل هذه النتائج مسجلة متعاقبة على ورقة موجودة بمكتب رئيسى على الأرض دون أن يكون داخل البالون شخص لهذه العمليات ؛ هذا البالون كان نتيجة للبحث التجريبى الذى قام به هيدراك وروبير بيروه Robert Bureau فى سنة ١٩٢٧ — ويطلقون فى فرنسا فى كل يوم حوالى ثمانية من هذه البالونات كما أنهم يطلقون عدداً آخر من الباخرة المعروفة باسم الكارى ماريه Carimarée الفرنسية المستعملة للأرصاد الجوية فى المحيط الأطلانطيقى

الموضوع الثالث : استطعت فى سنة ١٩٣١ لأسباب خاصة بدراسة توزيع جسيمات من طمى النيل داخل الماء أن أضع طريقة لتسجيل فترات سقوط كرة أو كرات داخل الماء أو غيوم من الطمى لأقرب $\frac{١}{١٠٠}$ من الثانية وذلك بتحويل حركة الكرات أو الحالة الطميية إلى حالة كهربائية باستعمال العين الكهربائية ؛ وقد أمكننى أن أسجل فعلاً هذه الحوادث وأمثالها على ورق حساس

وفى العام الماضى توصلت لوضع طريقة لمعرفة وتسجيل منسوب النيل وعمق النيل وكمية الطمى المحمولة بمياهه مهما كان بعد المنطقة المراد دراستها عن مكتب رئيسى بالقاهرة مثلاً ، وقد اشترك معى فى هذا البحث العام الماضى روبير بيروه مخترع البالون المتقدم الذكر [1]

هذه أمثلة مما بلغه اليوم العلم التجريبى وما أصبح عليه من قوة

ولا يقتصر العلم التجريبى اليوم على دراسة المظاهر الطبيعية أو على اختراع الأجهزة. بل يضع هذه المظاهر تحت عوامل وظروف جديدة . مثلاً نسلط على الماء تياراً كهربائياً فنحلله إلى عنصريه الأوكسجين والأيدروجين فنخلع عن الماء برقعه ، وبعد أن كان يظهر للعين كأنه مادة واحدة يتضح أنه مركب من غازين ، ونستقصى طبيعة الكهرباء وحقيقتها بأن نجعلها تخترق أنبوبة مفرغة من الهواء ، ونضع سماداً فى الأرض أو طبقة جديدة من طمى النيل ونرى أى العاملين أكبر أثراً على نبات الموسم القادم . ونغير رى الأرض ، وكمية الماء ونرى تأثير ذلك على محصول الفاكهة

وهكذا بتعديل متعمد للظروف الطبيعية وتغيير فى العوامل المؤثرة على الظاهرة التى يراد دراستها تزيد معرفتنا لحقائق الأشياء بدرجة عظيمة وتتعلم نتائج جديدة لا سبيل لمعرفتها بانتظار الأيام والظروف. وهذا ما نسميه فى العلم التجريبى الدراسة النوعية Etude qualitative على أن أهم ما فى العلم التجريبى هو الدراسة المقياسية Etude quantitave. كلنا يعلم أنه لتقليل حجم غاز مثلاً يجب أن نضغطه ولكن الباحث يريد أن يعرف القانون الكمى qualitative الخاص بهذا التغيير وتراه عند ما ينتهى من وضع هذا القانون الذى يربط الحجم بالضغط يعتبر الحرارة كعامل ثالث فيضع قانوناً أعم للثلاثة عوامل الحجم والضغط والحرارة — كذلك يدرسون عدديا العلاقة بين التيار الكهربائى والضغط الكهربائى Tension electrique فى الأنابيب المضخمة Tubes amplificateurs فى محطات الاستقبال المستعملة فى الراديو Postes recepteurs de radio وهكذا أمثلة عديدة لدراسة الكميات

وإنما نذكر ذلك لما للدراسة الكمية والعددية من أثر فى الاكتشاف فإنها لا تؤدى فى بعض الأحيان لدراسة الظاهرة التى يراد دراستها فقط بل تؤدى إلى اكتشاف ظواهر جديدة كان لا يقصد الباحث اكتشافها . وطبيعى أنى سألجأ فى كتاباتى لسرد أمثلة من هذه الاكتشافات التى كان بعضها وليد الصدفة والتى قدمت معارفنا لحد كبير

أما النبع الرابع للعلماء المشتغلين فهو التعمق العقلى فى حقائق الأشياء تعمقا زاد لدرجة قصوى فى العلوم الحديثة، وقد أصبحنا لا نكتفى اليوم بأن نكتشف القوانين وندعها منفردة بل نجمعها فى قوانين قليلة بحيث أنه بأقل الفروض نحاول أن نفهم عددا كبيرا من الحقائق . ولعل القانون النيوتنى للجاذبية خير مثل أقدمه، فهو قانون يجمع فى معادلة واحدة قوانين كوبرنيك وجاليليو وكبلر وهو الذى تناوله أخيراً إينشتاين باعتبارات جديدة وجديرة أن نتحدث عنها فى المقالات القادمة .

ومن السهل أن ندرك الآن أنه بمثل هذه المنابع الأربعة يصل العلماء إلى نتائج تختلف عن النتائج التى نصل لها بتجاربنا اليومية ومن هنا اختلفت صورة العالم عن الصورة التى رسمتها لنا حياتنا العادية .

فإذا ذكرنا الحركة البرونية ذكرنا جان بران ونجد اسم أينشتاين بجانب النسبية والكتلة ، ولا يمكن أن نذكر الألكترون دون

---

(١) هذه الابحاث نشرتها بالمجمع العلمى الفرنسى بتاريخ ٢ مايو سنة ١٩٣٨

أن نقرنه بأسماء ولسون والدوق موريس دى بروي ومليكان واستون دمبلر وأخيراً شيخ العلماء تومسون (J. J. Thomson) . وإذا ذكرنا البلورات ذكرنا دباى (Debye) وبراج (Les Bragg) وشيرر (Sherrer) ولوى (Laue) وإذا وصلنا للنشاط الإشعاعى وجهنا التحية لبكارل ومدام كيرى ورثرفورد ، جيجر (Geiger) وسودى ، وفى الأتوم يذكر دواماً رثرفورد وبوهروسمرفيلد الكبير وستارك وزيمان وبولى ، وفى الحرارة النوعية نكرر أسماء إينشتاين ودباى ولندمان ، وفى التبادل الضوئى الكهربائى نحيى مرة أخرى العالم إينشتاين ومليكان وموريس دى بروى وهنت

وفى علاقة المغناطيس ونظرية الكم تكاتف الكثيرون مما لا يسع المجال ذكر أسمائهم جميعاً، وأخيراً تم بناء آخر مرحلة نعرفها للهيكل الطبيعى بل تم آخر طلاء للصورة الجديدة بعملين كبيرين.

الأول الميكانيكا الموجية وما توحى به من فكرة جديدة للؤسسها لويس دى بروى ثم شرودنجر وهايزنبرج وبورن وجاردان وديراك . الثانى الاحصاء الجديد Les novelles Statistiques لواضعيه بوز وفرمى ، والأخير حاز جائزة نوبل فى ديسمبر الماضى

هؤلاء هم بناؤا الهيكل الجديد للعالم الذى سأستعرضه للقارىء ما استطعت بالرجوع لأصول الاكتشافات نفسها وبتبسيط الموضوع ماأمكن، وسأبذل كل ما أستطيعه من مجهود لنتجول معا فى العالم الجديد ولنفهم الصورة الجديدة، وكل رجائى أن يكون فما أذكره فائدة لعدد كبير من قراء العربية .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون



الجمال المصرى القديم
فى النحت

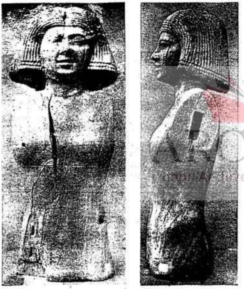
للدكتور أحمد موسى

« سل من شئت من المصريين عن تاريخ مصر الفنى ، وعما فى تراث الأجداد من مميزات ، وعن الناحية الجميلة الممتعة فيه ؛ بل سل أغلبية الناس فى مصر ممن زار أهرام سقارة ، وممن تطرف فى حب مشاهدة الآثار المصرية وسافر إلى الأقصر ، وشاهد معبد الكرنك وطيبة ووادى الملوك والملكات ، وتمثال ممنون ... سل كل هؤلاء عما شاهدوه وعما استفادوه ، وعن ناحية الجمال فيما عاينوه ، فلا تسمع إلاّ تخبطاً يكاد لا يختلف عما تسمعه من أمىّ يعيش بجوار هذه الآثار



ش١ — (رأس نفريت) : متحف القاهرة

ثم شاهد مدينة القاهرة ـ على اعتبارها عاصمة القطر ـ وأهم مدينة فيه ـ وما فيها من ضروب الخروج على أبسط مبادىء الذوق العام واخطر فى أحسن شوارعها يستوقفك شذوذ الانسجام



ش٢ — (زوجة العمدة) : متحف القاهرة

فى مبانيها ، وظاهرة انحطاط الذوق فى كل ما فيها . ثم تفلسف قليلاً لمعرفة السبب فى ذلك تجده ولا شك ينحصر فى جهل الناس معنى الجمال ، ومعنى الذوق ، ومعنى الفن . وهم فى ذلك سواء ، يستوى الجاهل مع العالم ، والفقير مع الغنى

بيوت عالية شاهقة ، وأخرى واطئة حقيرة ، كلها متجاورة . وإذا صادفت عشر عمارات كبار الواحدة ملتصقة بالأخرى ، ترى لكل منها شكلاً ولكل منها منهجاً ؛ كل هذا بجانب دكاكين كتب على أعلى مداخلها باللغة الفرنسية مرة وبالإيطالية أخرى وبالأرمنية ثالثة ، دكاكين كتب فى أعلى مداخلها بالعبرية حيناً

وبالإغريقية حيناً آخر ،كما تصادفك أخرى كتب عليها بالعربية لغة الوطن ، لغة البلاد !



ش ٣ — (والدة إخناتون) متحف القاهرة

تأمل كل هذا . وتأمل بعض الناس وهم يتهافتون على شراء تماثيل من الجص الرخيص ، تماثيل لا تمت للفن بصلة وتسجل على مشتريها قلة الذوق وعدم الفهم والجهل بأبسط مظاهر الجمال

تأمل كل هذا ثم عرج على آثار الأقدمين ترها منسجمة كلها من طراز واحد سمى الطراز المصرى القديم ، له طابع وله انسجام وله أثره فى فنون النبر ، يعطيك صفته دون حاجة إلى دقة الفحص ودون حاجة إلى سابق الدرس .

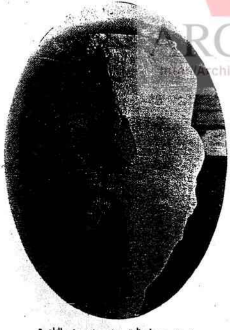
كل هذا لأن الذين قاموا بالعمل الفنى كانوا من المصريين الصميميين لم يكن لهم وسيلة للتهريج أو الدجل ، كما أن الذين أشرفوا عليهم وعملوا على تشجيعهم كانوا من أبناء البلاد

بهذا التمهيد بدأنا مقالنا الأول عن الفن المصرى[1] على صفحات « الرسالة » ومنه نرى أن تاريخ الفن قد سجل للمصريين الأقدمين ذوقاً عظيماً ووحدة فنية ظاهرة لكل متأمل .

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

وإذا كنا اليوم نكتب عن الجمال المصرى القديم ، فإننا نريد بذلك الكتابة فى الفن البحت، وليس فى تاريخ الفن، بالقسط الذى اعتدنا أن نتناول به سابق الأبحاث .

ولا يكاد يختلف اثنان فى تقدير الفن المصرى القديم وخلود عظمته بل والتأكد من أنه أصل الفنون جميعاً ، أثر فنها إلى حد بعيد جعل من علماء الفن والآثار من يشتغل بتحديد الصلة بين الفن المصرى وبين ماجاء بعده من فنون الاغريق وغيرالاغريق؛ فأخذوا يقولون بأن الاغريق هم أول من اقتبس من المصريين ، كما أخذوا يدللون على ذلك بمقارنات قياسية بين تصميم المعابد المصرية ونظيرها عند الاغريق ، كما أنهم قارنوا بين منحوتات المصريين ومنحوتات الاغريق فى أول عهدهم ، ثم تراهم يعرجون بعدئذ على قواعد غاية فى الدقة تؤكد صدق قولهم ، منها تناسب الأعضاء وتشابه المجموع الكلى وتناظر الانشاء الشكلى .



ش ٤ — (والدة حرمحيب) متحف القاهرة

وكل هذا قد يكون صحيحاً غاية الصحة ، ولكن الذى يجب علينا أن نعلمه هو أن الفن المصرى فن مبتكر ، بدأ ونما وازدهر ثم انحط واندثر دون أن يصل فى مرحلة من مراحله إلى المثل

الأعلى بمعناه الغنى؛ لأنه لم يمثل الحقيقة تمثيلاً يدل على التقليد البحت ولا جعل من الحقيقة ملهماً للخيال السامي، ولا اتخذ منها ما يرتفع بالتصوير الفني إلى درجة الروعة.



ش ٥ — (الواعظة توى) متحف اللوفر

كان هذا ولا يزال معدوداً من القصور الحتمي الذي لم يكن للتخلص منه بد، لأنه نجم عن طبيعة البلاد المصرية ونفسية الشعب، إلى جانب بساطة الطبيعة وصفو السماء وسهولة العيش. لذلك ومع أن الفن المصري قطع مرحلة تبلغ ثمانية أضعاف المرحلة الزمنية التي استغرقها الفن الإغريقي؛ فإنه للأسباب الطبيعية المذكورة لم يصل إلى ما وصل إليه الإغريق.

وإذا كنا لا نزال نذكر ما قلناه عن بعض منحوتات أكروبوليس أثينا ومعبد بارتنون (١) وما كانت عليه تلك القطع الخالدة التي مثلت الحياة أروع تمثيل، لأنها وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفن إطلاقاً، أمكننا أن نعرف بالمقارنة مدى ما وصل إليه المصريون في هذا المضمار معرفة تقرب إلى الحقيقة العلمية.

ولعله جدير بالذكر أن نوضح شيئاً عن الكيفية التي سار عليها المصريون في تلوين منحوتاتهم، بل وكل ما تركوه بمقابرهم وأهرامهم ومعابدهم من غير المنحوتات بألوان معدنية وصناعية اتخذوا بعضها من الأرض.

حصل هذا التلوين عندما كانت منحوتاتهم من الحجر الجيري أو الرملي؛ أما عندما كانت من حجر الجرانيت الوردي أو الأسمر أو حجر البازلت أو السربنتين فقد تركت بدون تكوين اكتفاء باللون الطبيعي.

على أنه قد وجدت تماثيل خشبية أو حجرية قابلة لامتصاص الألوان ولكنها تبدو كما لو كانت غير ملونة، وهذا في غالب الأحيان لزوال اللون منها أو لأنها تركت قبل تلوينها لظروف طارئة.

هذا بيان لابد من إيضاحه قبل تأمل النحت المصري الذي يمثل جمال المرأة المصرية على اعتبارها ممثل الجمال الإنساني غالباً. وإذا كان الجمال في جوهره متلخصا في تناسب التكوين وانسجام المظهر، فإن قياس الجمال رهين بالزمان والمكان، كما أنه راجع إلى نفسية الحاكم وبيئته وثقافته ومدى تأثره.

ولذلك فلا يهمنا في القرن العشرين أن نقارن بين جمال المرأة المصرية وجمال غيرها، وإنما يهمنا أن نتخذ من آثار الأقدمين وسيلة لفهم الجمال المصري القديم وفيم كان منحصراً وكيف كان تعبير الفنان المصري عنه.

وبالنظر إلى أن تاريخ الفن المصري قد استغرق قروناً، فإنا سنحاول تأمل الإنتاج الفني في هذا المجال تأملاً تاريخيا إلى جانب التأمل الفني الذي يمهد لنا سبيل التقدير الإستيتيكي.

فإذا تأملنا رأس « نفريت » التي يرجع تاريخ صنع التمثال الخاص بها إلى أقدم الأسرات، رأينا أن ملامح الوجه تدل على النعمة والبعد عن الكفاح مع توافر النبل، لاسيما إذا راعينا أن هذا من أقدم التماثيل المصرية التي تمثل جمال المرأة. أنظر إلى العينين والحاجبين وإلى الطريقة التي اتبعها المثال في التأنق لإخراجها بغاية النظام والعناية. ثم تأمل الطريقة التي اتبعت في تصفيف

(١) راجع عدد الرسالة الخاص بهذا الموضوع

الشعر وقصه عند الكتفين وتثبيته من أعلى بطوق من الذهب محلى بنقوش لها الطابع المصرى . كما تغطى العنق بحلية زادته جمالاً وزانت الصدر بما فيها من ألوان وزخارف . أما المميز الخاص الذى انطبع على الوجه فهو أميل إلى الصمت والسكون منه إلى الحياة والحركة . ولا نزال نرى الكثيرات من المصريات على جانب مماثل لهذا الجمال .



ش ٦ — (أمينبرديس) متحف القاهرة

وربما أضيف هنا أنى أردت منذ حين التوفيق بين الجمال المصرى القديم والجمال المصرى المعاصر ، وحاولت عمل المقارنات الدقيقة ، إلا أنى للأسف صادفت مصاعب ، منها عدم إمكان تصوير السيدات اللواتى جمعن إلى جمالهن طابع الجمال القديم

أما تمثال «حرم العمدة» وهو مصنوع من الخشب فقد أعطانا فكرة صحيحة عن قوام المرأة فى تلك الحقبة إلى الوقت الذى فيه نستطيع بمقارنة الوجه من جانبه ومن أمامه أن نعرف شكل الأنف المصرى وطريقة تكوينه واستقامته . أنظر إلى الفم وقارنه بفم « نفريت » تر أن هذا الأخير اكتسب شيئاً من الحياة بالنظر إلى تلك الابتسامة الهادئة التى ارتسمت عليه . والغريب فى الشعر هنا أنه ليس مجدولاً كشعر نفريت كما أنه تميز بتدرج نهايته السفلى ، فكان أشبه بثلاث طبقات تعلو الواحدة منها الأخرى ، فزادته رونقاً . نعم كان التمثال الأول ملوناً فظهر الكحل فى العينين على حين كان الثانى من الخشب دون ألوان ظاهرة . أما التشابه بين السيدتين فظاهر واضح من حيث امتلاء الوجه واستدارته .

أما والدة إخناتون فهى على هيئة عجيبة لها طابع مميز على غاية القوة ، كما يبدو لأول وهلة أن لونها كان أسمر مما يؤيد أنها كانت من مصر العليا . وعلى ما يظهر كان الفنان حريصاً على إخراج الوجه مليئاً بالحياة ، فتكاد العينان تنطقان . وقد بدا الفم غريباً فى تكوينه وفيما يدل عليه . أنظر إلى استدارة الخط الفاصل بين الشفتين واتجاهه إلى أسفل تر أن هذا الوجه لم يكن فقط ليعطى الناظر هيئة صاحبة التمثال ؛ وإنما عبر خير تعبير عن النفسية وما هو دفين فيها . ولعل غطاء الرأس بالسهم المثبت فى وسطه يذكرنا جيداً بالخوذات الحربية الألمانية قبل الحرب

وتمثال موتنوزميت أم حورمحِب (ش ٤) يعطى مثلاً سليما لنفس الجمال ، مع ملاحظة أن الرأس أصبح مزيناً بغطاء ذى نقوش رفيعة توسطها أعلى الجبين الأفعى المصرية .

وإذا تأملنا بشىء من الدقة التمثالين (٥ ، ٦) وجدنا فيهما تشابهاً شديداً من حيث التكوين المجموعى إلى جانب التفاصيل الإنشائية ؛ فأنت ترى أن القوام متشابه وأن وضع اليد اليسرى كان على الصدر بفارق بسيط ، كما أن اليد اليمنى ممتدة فى كليهما إلى أسفل ، وتقدمت الساق اليسرى فى كليهما إلى الأمام . نعم نجد الشعر مجدولاً بشكل مخالف فى كليهما ، كما أنه مختلف من حيث التصفيف وطريقة القص . أما القوام فهو المثل الأعلى لوقتنا الحاضر ، كله رشاقة وكله جمال . ومن الغريب أن نرى أن أحدث طريقة لصف الشعر هى إظهار الأذنين ، ونجد أن المرأة المصرية قد اتبعت هذه الطريقة منذ خمسة وعشرين قرناً .

أما تمثال أوابرا (ش ٧) فهو يمثل امرأة جلست وقد سرت

جسمها بملابسها الرقيقة بطريقة استطاع الفنان أن يظهرها فى أجمل وأروع هيئة . تأمل الذراعين واتكاءها على الركبتين ثم لاحظ النبل الذى ارتسم على الوجـه ، وانظر إلى خط التحديد للتمثال كله ، وفكر ولو قليلاً فى الـكيفية التى استطاع بها الفنان المصرى التعبير عن الجمال .



ش ٧ — (أوابرا) متحف اللوفر

نلاحظ طبعاً كبر الأذن ، كما نلاحظ صمت التمثال وركونه إلى السكون ؛ ولـكن هـذا لا يمنع مطلقاً من الإعجاب فى أجلى مظاهره بالـكيفية التى سار عليها الفن فى عصر يبعد عن عصرنا بألفين وخمسمائة سنة .

والخلاصة أننا نرى أن الجمال المصرى القديم كان نبيلاً عريقاً خالياً من الدخيل ، صافياً نقيـاً ، غير ممتزج بغيره ، جمع بين الصفة المميزة وبين الطبيعة البريئة الوديعة .

والسلوة الوحيدة التى نتعزى بها ، هى أننا نرجو أن نحسن الفهم على الأقل لفن تركه الأجداد ولم نمن بدراسته والعمل على نشره حتى بين أبناء البلاد .

وإذا كنا ندين بنتائج الحفريات ومعرفة اللغة الهيرغليفية لعلماء الأجانب ، فإننا على الأقل يجب أن نعنى بفهم الفن المصرى ودراسته ، حتى نستطيع أن نخرج عن المباهاة بما فى بلادنا من آثار وندخل فى دور الاستمتاع بها ، فتكون لنا روح وطنية صرفة لها أثرها فى توجيهنا لمجاراة الشعوب الناهضة .

هـذا مقال لا يخرج عن كونه احتيالا على القارئ لتفهيمه صفحة رائعة من صفحات آثار أجداده بطريقة التكلم عن الجمال فى أسلوب بسيط بعيد عن الجفاف العلمى .

احمد موسى



قصة سورية

الضـــرتان

للسيدة وداد سكاكيني

قالت أمُّـونة لصديقتها هدى : أرأيت حسد الناس لصداقتنا ، ولغطهم فى تأويلها وإحاطتها بالأقاويل ؟ إنهم لا يودون أن يرونا كالأختين فيغيظهم أن يشهدوا صديقتين ألف بينهما براءة المودة وطول المصاحبة وتقارب السن وحسن الجوار ، وإن شاؤا فبيننا وشائج القربى تحكم الصلة وتهون اللقاء . أليس زوجك ابن خالتى ؟ أمى اليوم مكان أمه ، ولئن غاب عنه وجه الوالدة فانه يراه فى الخالة

لقد بت البارحة قلقة عليك متألمة لألمك ، إذ تركتك تشكين صداعاً أليماً فأصبحت أسأل الله لك الشفاء .

كان الصداع الذى ألمّ بهدى نذير حمى طرحتها فى السرير شهراً ، وكانت أمونة لرفيقتها خلال المرض مواسية وممرضة ، فلازمتها برضى أمها وبقيت عندها حتى دخلت دور النقاهة فعظمت يدها عند هدى وأكبرت صداقتها ومروءتها ، وخلطت حياتها بحياة أمُّـونة حتى كانتا لا تأكلان أكلة شهية إلا معاً ولا تفترقان إلا غراراً . كل هذا والزوج يسبغ النعمة على زوجته هدى ، ويغمرها بالخير إذ مده الله بتجارة رابحة وبركة راجحة . وقد أكرم أمونة ابنة خالته وقدم لها بعض الهدايا جزاء معروفها وإخلاصها

كان طاهر زوج هدى كهلاً وقوراً ، أعز شىء لديه فى حياته الدين ، وألذ عمل عنده القيام بواجباته وتوفير السعادة لبيته . وقد عرف فيه الناس التعفف والاستقامة والبعد عن الغبن والغش فحببوا كلهم من اسمه الصادق ، فكانوا يقولون عنه : طاهر الاسم ، وطاهر الذمة والضمير ؛ ولكن الله لم يتم نعمته على الزوجين ، فقد مر على قرانهما خمس سنوات ولم يرزقا ولداً ، يوثق ما بينهما برباط أكيد ، ويملأ منزلها أنساً ومرحاً ، فكانت هدى تحس الأمومة صارخة فى غريزتها ، فتشم عبقها من أطفال الناس حتى تهتاج طبيعتها وتشتد حيرتها . بيد أنها ترتد إلى عقلها بعد قليل فتكبت شعورها وتكفكف حدتها خشية أن يلحظها زوجها إذ تحسب فى سرها أنها عقيم . وكثيراً ما أفضت بدخيلتها لصديقتها أمونة ، وشكت إليها لهفتها على الولد وأنها تتمنى أن تشتريه بعينيها ، وتفتديه بروحها ، فكانت تجيبها : لا تيأسى يا صديقتى. إن الله هو الرزاق الكريم . ولما رأتها ملحفةً فى طلبها غدت بها على الأولياء تستجير بهم وتعدهم بالنذور إذا رزقت ولداً . وقد استغاثت بالمشايخ الصالحين فقرأوا لها العزائم والتعاويذ ، وحرقوا أمامها البخور ، وحملوها الحُجُب والآيات فما أجدت عليها شيئاً لأن الله لم يشأ أن يجعلها ولوداً

كل هذا جرى دون أن يدرى زوجها به ، فلقد كان متزمتاً متديناً لا يسمح لها بمغادرة البيت إلا قليلاً أو مع ابنة خالته التى ألفها واطمأن إلى أخلاقها من طول مقامها عنده وغشيانها داره وصحبتها لزوجه . وقد حلف بأن تكون طالقاً إن ذهبت تطب للنسل. فما خالفت له أمراً لأنها كانت تطيعه وتحبه برغم تفاوت السن بينهما ، فأحست الأمان على حياتها الزوجية منذ صدف بها عن المعالجة واستسلمت للقدر لعل الله يرزقها ولداً

كان طاهر تاجراً غنياً جمع ثروته بعد الحرب الكبرى ، واستطاع بما له الضئيل يومئذ وبماله من معاذير أن ينجو من الجندية؛ فلما توفر على تجارته وربحت أرادته أمه على الزواج ، فقد كاد ينهد للكهولة ولم تفرح بزواجه. فأطاع وفرحت، ثم ماتت أمه فبقى وحيداً مع زوجته الحسناء . ومن ذلك الحين توثقت عرى الصداقة بينها وبين ابنة خالته أمونة التى كانت مخطوبة لموظف كبير ، ولكنها مترددة بين قبوله ورفضه

مضى على زواج طاهر خمس سنين ، بدأ فى آخرها يمل حياته الرتيبة مع هدى ويميل إلى تركها يوماً بعد يوم مع ابنة خالته أمونة ، إذ دب فى نفسه الخوف من الفناء قبل أن تظهر فيه عواطف الأبوة

وطمع فى خلود الذكر من بعد موته بالولد الذى يدل عليه وضنت به هدى ، فصار يرى بيته صامتاً جامداً لا يُهز فيه سرير ولا يناغم طفل، ولا تتردد فى حجراته لفظة «بابا» فضاق عليه البيت بما رحب وكره الحياة من أجل ذلك ، فأخذ يشنأ زوجته ويجتويها ويتبرم بحديثها ويتلكأ فى طلباتها . وقد خيل إليه الوهم والهم أنها عاقر وأن حياته معهـا جدبية ، مع أنه يعرف فى نفسه وفى ضميره أنه هو العقيم، فتذكر شبابه الطائش وتعرضه باستهتاره لمرض شائن، تاب بعد شفائه منه توبة نصوحاً ولـكنه أورثه داء عقاماً حرمه النسل

كان يثور على زوجه هدى فى سره لعقمها الموهوم ، ثم يعود فى نفسه إلى الهمود والجمود حين يرى هذه النفس الباغية هدفاً لتلك الثورة

وبينا هو مطرق ذات ليلة تلقاء الموقد اللاهب والوقت شتاء ، تعصف فيه الرياح العاتية التى صدته عن السمر فى دار صديقه مرت أمامه قطته «فلة» التى يعطف عليها ويختصها بطيب الآكال، فلما حاذته تمطت ونفشت شعرها ، فأخذ يعبث به ويربت بكفه على ظهرها ، فلمعت إذ ذاك فى خاطره صور وأفـكار ، ورأى القطة فى نظره الحانق خيراً من زوجته العقيم ، هذه شجرة بلا ثمر ، وتلك ولود تملأ البيت كل عام بأولادها . وفيما كان يقلب الخواطر فى ذهنه تلفت إلى بيته فرآه ساكتاً ساكناً إلا من صوت زوجته هدى وابنة خالته أمونة وهما فى فورة اللعب بالبرجيس (١) وغمرة الحماسة للغلاب ، ومن مواء القطة بين الفترة والفترة ، فطغت عليه الهواجس وشعر بكره لامرأته ، ونفرة منها ، فأخذ يميل بوجهه عنها ويوجهه إلى أمونة فيقارن بينها وبين زوجته التى غاض منهامعين الجمال فى تلك الليلة فى نظره فتتخالس عيناه نظرات الإعجاب بابنة خالته، ثم جال طرفه الرغيب فى جسمها الريان ووجهها الأبيض الجاذب وشعرها الفاحم المتدلى على كتفيها اللتين انحدرت منهما يدان كأنهما ركبتا فى دمية من المرمر ، فانشرح صدره وتمدد على أريكة بإزاء المدفأة ثم لوى ذراعه تحت رأسه فأسند فوده عليه وأخذ يتأمل فى ساق أمونة الممدودتين إلى الأرض وقد امتلأتا صقالاً وانسجاماً وأحيطتا بظلال من النعومة والجمال . ولما أطال التحديق فيها وهى جالسة تجاه زوجه لاهية بلعبة البرجيس رأى نفسه وجهاً لوجه أمام المرأة التى يتمناها له زوجة ثانية ، فارتد يبصره عنها بعد فترة من اللعب لـكيلا تلمح نظراته الخاطفة الماكرة؛ أما قلبه فبقى يرنو ويشتهى فقال فى ضميره : تُرى أى بأس على إن تزوجت أمونة ، وقد رفضت خطيبها السكير المقامر فيكون لى زوجان وأكون كجارى أبى عادل الذى تزوج اثنتين وهو معتزم هذه الأيام أن يبنى بالثالثة . وكثيراً ما حدثنى من باب دكانه عن حياته الزوجية فقال : ما أحلى الزوجتين يا طاهر ! هما ريحانتان للشميم ؛ لـكل ليلة ريحانة

فكر فى هـذا طاهر . ولعب ذلك الريحان على أنفه فى وهمه كأنه يد الشيطان ، ورده فى نفسه صوت أمونة ، وهى تضحك وتصفق بيديها ، وتضع حجراً من حجارة البرجيس على الآخر وترفع صوتها قائلة لهدى :

— خذى فنجان القهوة . مغلوبة . مغلوبة ...

فتنبه طاهر فور انتهاء (الدست) بين اللاعبتين وجمع أشتات فكره من دكانه ، وهو يحاور جاره ، ومن ملاحة أمونة ، ومن الأولاد الذين كان يحلم فى خياله أن يأتوه منها فقال :

— يا هُدُو ! وكان يناديها بهذا اللفظ الموجز كلما أراد العبث والدعابة — ماذا ترين وأنا كهل غنى ولا وارث لى منك؟ فهل عليك من حرج إذا تزوجت امرأة ولوداً وأنت تبقين سيدة البيت كلنا نأتمر بأمرك ونهتدى بهداك ؟

فما سمعت هدى كلامه حتى فغرت فاها وانتفضت كأنها صعقت، فامتقع لونها وطغى عليها دمع غزير صور على خديها معانى كثيرة من الذلة والخيبة والبغتة والفشل . وكان بعض الدمع يساقط على خدها وبعضه تتلقاه بمنديل فى كفها أو تمسحه بكمها دون وعى حتى نشجت أعصابها وكاد يصيبها الغشيان فارتمت بوجهها على صدر صديقتها أمونة التى وجمت وبهتت . وانتابها عى وجمود فلم تنطق بذات شفة وإنما غلب عليها التأثر والبكاء مشاركة لرفيقتها

لقد كانت أمونة ذات قلب سليم حيال ابن خالتها فلم تعلم أنها ستكون الضرة المرة، وما عرفت أنها ستنزل على صديقتها كالنقمة والبلوى ، بل لم تشعر فى يوم من الأيام أن فلـكها يدور هذه الدورة فيبدل الصداقة عداوة والمرافقة الرفيقة إلى مفارقة قاهرة .

* * *

لقد حمل طاهر إلى ابنة خالته مهراً غالياً ، وهدايا كثيرة ثمينة ، وحمل خالته على قبوله صهراً فما صدت ولا ردت ، وإنما وجدت فى إقدامه على الزواج مرة ثانيـة عقلاً وحكمة وصوناً لثروته من الضياع ، وعرفت أن ابنتها أمونة ستكون ولوداً مثلها فلقد أنجبت هى ثلاثة من البنين والبنات وهى جدة لأولاد أحدهم. فأبت بنتها هذا الزواج وحاولت التمرد والعصيان إذ استحمقت نفسها واحتقرت أن تكون ضرة لرفيقتها فماذا يقال عنها ؟ أية سمعة ستكون لها ؟ وأية مضغة ستكون فى أفواه الناس ؟ ولـكنها برغم

(١) ألهية سورية يلعب فيها بودعات وأحجار وهى فى رقعتها على شكل صليب مربع

كل مقاومة ومعاندة أفلحت أمها في إكراهها على الزواج فقد وسوست في عقلها كالشيطان، وزينت لها حياة الثراء والرخاء عند ابن خالتها. وأنذرتها بالبوار والكساد إن أصرت على رفضه وآثرت العناس. فتنازعها عاملان: نزوعها إلى الزواج كيف اتفق شأنه بعد إخفاقها في خطبتها للموظف، وحرصها على مودة صديقتها والوفاء لها. فغلبها على أمرها ما خلقت له وهو الزواج وفي النفس ما فيها من خوف وعذاب، فأطاعت أمها على مضض وعقد لها على ابن خالتها وزفت إليه.

ومضى زمن قصير فإذا هدى تنقلب فيه إلى امرأة شرسة طاغية. كلما لسعتها الغيرة ثارت بأوعية البيت وآنية الطعام فهشمتها وداستها بقدميها، ولعنت الرجال، ونقمت على الصداقة التي طعنتها في الصميم. وإذا جاء طاهر ليبيت عندها ليلتها الخاصة تنكرت له وتجهمت وانكفأت إلى عزلتها الأليمة، ولا يزال قطعاً من الليل يتملقها ويترضاها وهي تتميز من الغيظ، وتتمزق من القهر، حتى تنفجر باكية فيتركها ريثما تهدأ ثم ينام. وبقي على هذه الحال بضعة أشهر حتى قطع عنها ليلتها وجعلها كل أسبوع مرة. وبعد سنة صار لا يزورها إلا لماماً. وكم كانت الغيرة تنغص عيشها كلما فكرت في ضرتها وخيانتها وزهادة زوجها فيها وعزوفه عنها

تصرمت خمسة أعوام على زواجه الجديد، فلم تلد له أمونة ولداً، فثار عليها في نفسه ثورته على هدى ثم فكر كثيراً وتذكر ملياً فرد ثورته إلى نفسه وأدرك إخفاقه في النسل، فاستقر في ظنه أنه هو العقيم، لا هاتان المرأتان المظلومتان. غير أن خوفه على اتهام نفسه وامتهانها جعل في فكره منطقاً فاسداً صور له براءتها فأحدث له شكاً خرج منه إلى أن زوجته الثانية عاقر كالأولى، فقص هذا على جاره الأدنى في السوق وكان يستخلصه لنفسه، ويستشيره في شؤونه. فقال له: لقد تزوجت الثانية حسبما أشرت فلم تلد، وأنا رجل غني، كما تعلم، فماذا أفعل؟ فأشار عليه بالزوجة الثالثة وتطليق الأولى

في مساء ذلك اليوم عاد إلى بيته الثاني، وقال لابنة خالته فيما قال من حديث السمر أمام المدفأة في الشتاء: أترين يا أُمُّو — وصار يخاطبها بهذا اللفظ المقتضب كما كان ينادي زوجه الأولى — كيف أنك لم تحملي بولد يرثني، وقد صرت إلى حال من القنوط تمنيت معها الموت. وقد أشاروا عليّ بالزواج لعل حظي من الولد يوافيني من الثالثة، على أن أطلق تلك الضرة الكريهة التي تبغضك وتطعن فيك وتدعو عليك بالموت.

فما سمعت أمونة هذا الكلام حتى مرت في طور صديقتها تلك الليلة الماطرة قبل خمس سنين، فاصفرت وبكت وانقضت على ابن خالتها كالمجنونة وصاحت به:

— ياخائن، ياعبد الشهوات! أنت العاقر الذي كنت في شبابك فاسقاً فأصبت بالعقم ولم تنسل فما ذنبنا نحن؟ وهمت بضربه بقطعة من الحطب كانت في جانب الموقد

جُنَّ جنون طاهر من هول الفضيحة، وفحش الشتيمة، واجتراء زوجته وابنة خالته على إهانته وضربه فقال لها بمكر وخبث:

— لا تصدقي يا أُمُّونة. إنني أمزح لأرى إن كنت تحبينني أم لا؟

أما أُمُّونة فقد شعرت بنيته السيئة، وأدركت ما يضمر في طويته لها فهاترته وقامت عليه ناقة ثائرة، والله يعلم كيف مضت عليها تلك الليلة المشئومة. فلما طلع النهار دلفت أمونة إلى بيت صديقتها القديمة وضرتها المهجورة، وهي على استحياء من نفسها تتقدم رجلاً وتؤخر أخرى حتى كادت تتراجع القهقرى وتتردد في مواجهة رفيقتها بالأمس، لولا أن عادت إليها بجرأة، وثارت فيها الغيرة الجديدة والنقمة على زوجها، فتنهدت وتشجعت وطرقت باب هدى طرقات خفيفة فردت عليها بفتحه. وما إن كشفت أمونة عن وجهها المحجوب حتى وقفت الأولى جامدة كالصنم، وشزرت ضرتها بعينين كالحربتين، فارتمت أمونة على قدمي هدى وحاولت تقبيلهما، ثم قامت إليها بالعناق والتقبيل والبكاء والنحيب، فلم يكن من هدى إلا أن أبدت عجبها من مظهر ضرتها الكئيب، وسألتها على كره منها:

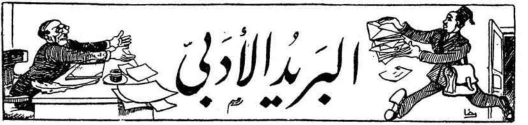
— هل من بلية حلت بطاهر؟

— لعنة الله عليه! إنه يجني عليّ وعليك. ليت عزرائيل ينقذنا منه قبل أن ينفذ إرادته الجديدة.

— وماذا يريد؟

— فاهتزت أمونة وارتجفت يداها وتلعثمت وكاد يغمى عليها لولا أن تداركتها هدى واستدرجتها إلى الجواب. فعلمت منها أن طاهراً يريد الزواج، وشاعت حينئذ الشماتة على وجهها ووضحت السخرية في لفتاتها وحركاتها، فسلقت أمونة بلسان حاد أصاب منها مقتلاً كأنه الرصاص. وضحكت أمامها لتزيد في نكايتها وإهانتها

فشعرت أمونة بكبريائها المحطمة، وضعضعتها الشماتة ولكنها صمدت للنهاية وتجالدت فبلعت ريقها وبلت حلقها الجاف من طول الكلام والبكاء، ثم أخذت تستعطف هدى بصوت ذليل خفيض والتمست صفحها. فلما رقت ولانت أفضت إليها بنيات زوجهما، وطفقت تستعديها عليه وتستفزها للثأر منه بحرارة الموتور، وجلستا تفكران مطرقتين كأنهما في بحران، وتقدران ما ينبغي لهما من الحيطة والحذر من وقوع الكارثة. وسرعان ما زال من هدى



في الشعر العربي

ليس بيني وبين الأستاذ على الجارم بك إلا محض صفاء، بل له عندي مكانة. فإذا أنا أقبلت على شعره أنظر إليه بمؤخَّر العين فإنما شعره وحده الذي يشغل نظري. وللأستاذ على الجارم بك أن يعتدّ بالمعجبين بشعره — وهم غير قليل على ماينتهي إلى آذاننا — فيهمل ما يقوله في طريقة نظمه من يجب أن يدون تاريخ الشعر العربي تدويناً لا يعرف الغرض

عندي أنّ الشعر العربي المسجون في القصر الذي بناه له أمثال المتنبي والبحتري في معالجة النزْع، لأن أمثال المتنبي والبحتري تركوا نوافذ القصر مغلقة يوم ماتوا. ثم جاء خلفاؤهم وأتباعهم فسمّروا خُشُب النوافذ، ففسد الهواء وضوى الشعر المسجون. إلا أنه اتفق لهذا الشعر أن تُثقب له كُوّتان في الحائط، إحداها على يد رجل يدعى أحمد شوقي، والأخرى على يد رجل اسمه خليل مطران. أما هذه فقد أقيم بينها وبين القصر حاجز فوُقفت على حجرة ضيقة سرعان ما أضحكت أرجاءها نسمات مقدمها من هناك في مصر ثم من أمريكة الشمالية والجنوبية. وأما تلك فقد سُدَّت فجأة ولم يبسط أحد إليها يداً، فعاد الهواء إلى فساده

ومن هذا الشعر الشاحب قصيدة ألقاها الأستاذ على الجارم بك في «حفلة تأبين المرحومين السكندري ونالينو في دار الأوبرا الملكية» يوم الجمعة الماضي (انظر الأهرام ١٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩)

وإليك المطلع، وفيه ما فيه من «براعة الاستهلال» (بحسب الدستور الأكبر المسمى بعلم البديع):

غداً في سماء العبقرية نلتقي وتجتمع الأنداد بعد التفرق

أما المصراع الأول ففيه «فخر» لطيف مع شئ من «المبالغة»

وأما المصراع الثاني ففيه «تأكيد» و «طباق»

وفي القصيدة ما تشاء من «محسنات معنوية ولفظية» لا يقوم مثل هذا الشعر إلا بها، لأن لبابه يتفتت إذا خطر لك أن تقبض عليه فَمَثَله مَثل الفتاة المصدورة تحمِّل وجهها مالا يطيق من ألوان الطلاء المعروضة في جميع الحوانيت

وحسبي أن أقتطف بعض الأبيات، فليس بقارئ «الرسالة» حاجة إلى التلقين:

وأبعث في الصحراء آنات شيّق

وهل تسمع الصحراء آنات شيّق

حقدها على أمونة، فتصافتا وحلفتا بالله جهد الإيمان لتعودان كما كانتا أختين صديقتين. وافترقتا على أمر واحد، وهو السعي لدى المشايخ والسحرة لعلهما تجدان الدريئة والدواء، وقادهما البحث إلى مغربي ساحر أعطاهما شيئاً كالملح الناعم يذر على الأكل فيحدث لذائقه الخبل والشرود فاقتسمتا الثمن الباهظ ودفعتاه راضيتين

ولما جلس طاهر إلى الطعام ذرّت له التي هو عندها ذرور الساحر، فلما أكل انقلب كالذي خامره امتعاض، وظل أياماً كلما أكل عند واحدة منهما ذرت له قليلاً من الذرور فلم يمض شهران حتى غدا كالمخبول الممرور لا يدري ما يفعل. فقال الناس: قد أصابته عتاهة وبلاهة. وقالت نساء من أهله: لعل زوجتيه سحرتاه فصار إلى حاله الوجيع. ومرّ به زمن أغلق معه دكانه وباع ما فيها بثمن بخس، ولزم بيته لا يبرحه إلا للصلاة في الجامع. فلما ازداد به الخبال والذهول أقامت عليه زوجتاه الحجر وتسلمتا الإنفاق عليه وعادتا أختين محبتين كما كانتا، تسكنان في بيت واحد، وتسخران من ذلك الزوج الذي تراخت أوصاله، ووهنت عظامه، ودب فيه المرض والهرم، فأمنتا جانبه، واكتسبتا ثروته. ثم عاودتهما بعد حين التوبة والندامة، فأدركتهما الرحمة له والشفقة عليه واستغفرتا الله من ذنبهما. ولما قضى الزوج نحبه أدت الضرتان أو الصديقتان فريضة الحج معاً وابتهلتا إلى الله في أشرف بقعة أن يعفو عن إساءتهما وهو العفو الغفور.

وداد سكاكيني

وأعجبنى رأى سليم ومنطق يصول على رأى سليم ومنطق
تقاسمه غرب وشرق فألفت مناقبه ما بين غرب ومشرق
ينسق علم الأولين مجاهداً ولا خير فى علم إذا لم ينسق

تلك أمثلة على ما يسمونه « رد العجز على الصدر » ، ولكن أين الفائدة من هذا الترديد ؟ . ثم :

ويمضى الحجا ما بين يوم وليلة كلمحة طرف أو كومضة مبرق

ذلك مثل على استعمال التراكيب المطروقة أى المبتذلات clichés « لمحة طرف » و « ومضة مبرق » . ثم :

يضيق فضاء الأرض عن همة الفتى ويجمع فى الحدمن الأرض ضيق

انظر إلى » الطباق » : « فضاء وضيق » . ثم :

كأنى أراك اليوم تخطب صائلاً وتهدر تهدار البعير المشقشق

الشيخ الإسكندرى — رحمه الله — كان « يهدر تهدار البعير المشقشق » . انظر كيف استدرجت القافية الشاعر إلى صورة أقل ما يقال فيها أنها مستكرهة . ثم :

فقل للذى يسمو لنيل غباره ظلعت العتاق الشيظميات فارفق!

نعود إلى الإبل كأن الشاعر يكره أن يسلم بأنه يعيش فى القرن العشرين . أما لفظة « الشيظميات » فاطلبها فى المطولات من المعجمات و « الغريب » فى ذلك الشعر مستحسن . ثم :

فقلت أرى ليثاً وليثاً تجمعا وأشدق ملء العين يمشى لأشدق

وهو بيت بعض ألفاظه مأخوذة من بيت مشهور لبشر بن عوانة وهذا مستحسن أيضاً

لأمهل ههنا ، فأنا أرغب فى أن أدلك على تداعى هذا الصنف من القريض ، لأنه مختلق اختلاقاً بكد الذهن وقوة الذاكرة واختيار اللفظ المدوّى (والغريب أحياناً) واستعمال المحسنات اللفظية والمعنوية إلى كل ما يتصل بالأساليب المصطلح عليها للصناعة الموقوفة . ومعنى هذا أنه بعيد عن لفظ يحصر فيه معنى الشعر كله ، وهو : الإلهام

وليعذرنى الأستاذ على الجارم بك ! فإنه اختار هذا الضرب من النظم وما هو بمسئول عنه . وأملى أن يأذن لى أن يجذبنى ضرب آخر يكون من ذلك الضرب مكان الضد من الضد .

بشر فارس

الأستاذ طنطاوى جوهرى يتقدم الى جائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٩

كان الأستاذ طنطاوى جوهرى قد تقدم إلى أولى الأمر فى مصر ليرشحوه إلى جائزة نوبل للسلام ، فلم يلق أحد باله إليه . فاضطر إلى أن يتقدم بنفسه إلى لجنة هذه الجائزة بالبرلمان النرويجى ، فسألت عنه وزارة الخارجية المصرية ، وهذه سألت عنه وزارة المعارف العمومية . فلم تر الوزارة بداً من النظر فى طلب الأستاذ وإحالة كتبه إلى عميد كلية العلوم لفحصها وإبداء رأيه فيها . والكتب المقدمة هى : (١) أحلام السياسة وكيف يتحقق السلام العام . (٢) أين الإنسان ، وقد تقدم به إلى مؤتمر الأجناس العام سنة ١٩١١ . (٣) صورة ما كتبه بعض عظماء ملوك الشرق وجمعيات أوربا وعلمائها فى هذين الكتابين . (٤) أساس النظام الدولى ، والموازنة بين آراء حكماء الشرق والغرب ، وبين الرأى المصرى الحديث . (٥) نسخة منقولة من المجلة الشرقية برومة بتاريخ سنة ١٩١١ للأستاذ سانتلانه : الدكتور فى الفلسفة . (٦) نسخة مما أرسله الأستاذ كرستيان جوب من لوكسنبرج مكتوباً باللغة الفرنسية إلى المؤلف ، وقال إنه ملخص من كتاب : « أحلام السياسة »

وهذه الكتب والرسائل تتجه كلها اتجاهاً عالياً فى الدعوة إلى السلام ، ونصيب الإنسانية من السعادة إذا ما رفرف عليها علمه ، وسار فيها نظامه

وآخر موعد للتقدم إلى جائزة نوبل للسلام ينتهى قبل أول فبراير القادم فلا بد من البت فى طلب الأستاذ قبل ذلك

جائزة نوبل للسلم

تلقينا من لجنة « نوبل » فى البرلمان النرويجى بيان الشروط التى يجب توفرها للحصول على « جائزة نوبل للسلم » . وقد جاء فى البيان ألا تقبل الترشيحات لهذه الجائزة — التى ستمنح فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩ — إلا إذا قدمت إلى « لجنة نوبل للبرلمان النرويجى » من شخص له حق الترشيح قبل أول فبراير سنة ١٩٣٩

والأشخاص الذين لهم حق الترشيح هم :

الأعضاء الحاليون والسابقون للجنة البرلمان النرويجي لجائزة نوبل والمستشارون الملحقون بمعهد نوبل النرويجي

أعضاء الهيئات التشريعية وأعضاء الحكومات في مختلف الدول وكذلك أعضاء الاتحاد البرلماني الدولي

أعضاء محكمة التحكيم الدائمة في لاهاي

أعضاء مكتب مجلس السلم الدولي

أعضاء معهد القانون الدولي والمشتركون فيه

أساتذة الحقوق والعلوم السياسية والتاريخ والفلسفة في الجامعات

الأشخاص الذين نالوا جائزة نوبل للسلم فيما قبل

وقد تمنح جائزة « نوبل للسلم » للمعاهد والجماعات

وطبقاً لأحكام المادة الثامنة من القانون الأساسي لهبة نوبل، يجب أن يكون الطلب مسبباً وأن يشفع بالمؤلفات والمستندات الأخرى المؤيدة له.

وتقضي المادة الثالثة من القانون بأنه لا يقبل أي مؤلف في المباراة يسبق نشره في الصحف

ولاستيفاء البيانات، يمكن من لهم حق الترشيح أن يتصلوا في هذا الشأن بلجنة نوبل بالبرلمان النرويجي، وعنوانها هو:

(١٩ درا منسفاى — أسلو)

(Comité Nobel du parlement norvégien)
Drammensvei 19,
Oslo

المجمع العلمي المصري — ملخص جلسة ٩ يناير

الوشم في مصر القديمة — للمسيو كيمر

ليس لدينا براهين مطلقة عن استعمال الوشم في مصر قبل الأسرة الحادية عشرة على الرغم من كون هذا الأمر محتملاً.

والمعروف هو أنه يوجد ثلاث موميات ظاهر عليها الوشم، وعدة رسوم لنساء «موشومات» يرتقين إلى عهد الأمبراطورية المتوسطة وقد عثروا على الموميات في طيبة فأحداها كشفت في سنة ١٨٩١ والأخريان في سنة ١٩٢٢ ومن عهد الأمبراطورية الجديدة فما بعد عثروا على رسوم نسوية كثيرة يظهر الوشم على الأفخاذ فيها، وهو يمثل الإله بابن. وكانت النساء « الموشومات » في مصر القديمة ينتسبن كلهن، على ما يظهر إلى طبقة الحظايا والراقصات والمغنيات، وفي جملة أشكال الوشم التي ترى على أبدان الأسرى الليبيين التي تشاهد في الهياكل والمدافن في عهد الأمبراطورية الجديدة، رموز تدل على الإلهة « نيت » وهي إحدى الإلاهات الليبيات، ولا يزالون يرون مثل تلك الرموز في أيامنا هذه عند بعض المصريين وسكان شمال أفريقية، فهم يغطون بالوشم أذرعهم وأيديهم

وعقب ذلك بحث لحضرة الدكتور مونرو دومين عن بعض الأمراض المصرية وعن المساعي المبذولة للوصول إلى معرفة كنهها

وبعد الجلسة العلنية عقدت اللجنة جلسة سرية لانتخاب هيئة المكتب لدورة سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ فأسفرت النتيجة عما يلي:

الرئيس: الدكتور حسن صادق بك المدير العام للمساحة والمناجم

نائبه: الرئيس المستر لتل مدير المتحف الجيولوجي

السكرتير العام: المسيو فيات مدير متحف الآثار العربية

أمين الصندوق: المسيو كنتز معاون مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بمصر

لجنة النشر: معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والمسيو لوكاس والأستاذ سامار كو والدكتو رمارهوف

برنامج المؤتمر الطبي العربي

يوم الأحد ٢٩ يناير — « وقفة عيد الأضحى المبارك »

الساعة العاشرة صباحاً تقام حفلة افتتاح المؤتمر بصالة الاحتفالات بالجامعة، وتؤخذ للأعضاء صورة فوتغرافية أمام الجامعة، ثم يقصدون إلى كلية الطب حيث يفتتح معرض المؤتمر

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر يقيم سعادة عبد السلام الشاذلي باشا محافظ القاهرة حفلة شاي لأعضاء المؤتمر بحدائق الحيوانات بالجيزة

وفي المساء يقيم رفعة محمد محمود باشا رئيس الوزراء مأدبة عشاء احتفاء بأعضاء المؤتمر

يوم الإثنين ٣٠ يناير قبل الظهر تعطل أعمال المؤتمر للمعايدة، وفي الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة معالم الآثار بالقاهرة، ثم يزورون مستشفى الهلال الأحمر حيث تقام لهم حفلة شاي

يوم الثلاثاء ٣١ يناير، الساعة الثامنة والنصف صباحاً تبحث الموضوعات الآتية بقاعة محاضرات كلية الطب وهي:

١ — الصحة الدولية فى مصر والشرق الأدنى
٢ — جراحة الأكياس الديدانية ومضاعفات البول السكرى
٣ — التغذية والأمراض الناشئة عن سوء تدبير الغذاء
٤ — الأمراض الزهرية

وبعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة أهرام الجيزة وحفريات الجامعة ، حيث يقيم لهم معالى وزير المعارف حفلة شاى فى سفح الأهرام

وفى المساء تقام لهم حفلة غنائية موسيقية ساهرة

يوم الأربعاء أول فبراير — فى الصباح يستأنف بحث مسألتى جراحة الأكياس والتغذية ، ثم تبحث مسائل طبية متنوعة باطنية وجراحية ، وبعد ذلك تبحث مسألة توحيد المصطلحات الطبية فى اللغة العربية

وفى الساعة الثانية بعد الظهر يقوم الأعضاء بنزهة نيلية إلى القناطر الخيرية ، وتقيم الجامعة حفلة شاى لهم فى حدائق القناطر الخيرية

وفى المساء تقام حفلة تمثيلية فى دار الأوبرا الملكية

يوم الخميس ٢ فبراير — فى الصباح تبحث الموضوعات الآتية : أمراض النساء وأمراض الأسنان ، ثم المتنوعات ، وتوحيد المصطلحات الطبية

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر يقوم الأعضاء بزيارة مصلحة الطب الشرعى حيث تقام حفلة شاى

وفى المساء تقام حفلة العشاء السنوية للجمعية الطبية المصرية

وقد تقرر وضع شعار للمؤتمر يضم رسم عظيمين من عظماء الطب عند الفراعنة والعرب ، وهما أمنحوتب وابن سينا ، وقد وقفا وجهاً لوجه : أحدهما فى ظل الأهرام والآخر فى ظل أحد المساجد الشهيرة

حفلة تأبين الأستاذين السكندرى ونللينو

كانت الحفلة التى أقامها مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى دار الأوبرا لتأبين عضويه المرحومين الشيخ أحمد على السكندرى والسنيور نللينو حافلة كاملة ، حضرها صاحب العزة إسماعيل تيمور بك مندوباً من جلالة الملك وحضرات أصحاب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف والأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وسابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة ونخبة مختارة من كبار الأدباء والموظفين وحضرات الشيوخ والنواب

وقد ألقى صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف كلمة الافتتاح فأشار إلى سمو المعنى الذى يستخرج من تأبين رجلين كبيرين من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية أحدهما مصرى هو المرحوم الأستاذ أحمد السكندرى والآخر إيطالى هو المرحوم الأستاذ نللينو ، ونوه بجهودهما فى المجمع واشتراكهما فى سعيه الجليل لمسايرة لغتنا حياة العالم فى العلم والفن وفى جميع مظاهر الحياة النظرية والعملية وقال : إن اختلاف الوطن والدين لا يحولان دون الاشتراك الوثيق فى العمل لخير الإنسانية كما تجلى فى عمل هذين الرجلين اللذين يسرهما القدر لغاية واحدة وجمع بينهما فى الحياة والممات . ثم وجه إلى سعادة ممثل إيطاليا وإلى أسرة السكندرى كلمات التعزية على فقدهما

وتلاه صاحب المعالى الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس المجمع فقال : إننا حين يسلمنا إلى الجزع تعاظم الخطب فيمن فقدنا من رجال أكفاء يحملنا على الصبر كريم العزاء وصادق الوفاء الذى نلقاه من رجال الحكومة وعظماء الدولة وجمهرة أهل العلم والفضل الذين حضروا هذا الاجتماع

ثم ألقى الدكتور منصور فهمى بك خطبة ضافية استهلها بشرح البواعث على رثاء الجماعات لمن تفقد من أعزائها ، وأفاض فى تأبين المرحوم السكندرى ووصف سجاياه وأعماله وجهوده فى المجمع وعظم الفجيعة فيه ، ثم قال : إن المجمع حين ابتلى بفقد السكندرى ما كان يعلم أن القدر يتربص له بخسارة أخرى فى فقد المرحوم الأستاذ نللينو وأطنب فى امتداح مناقب الأستاذ نللينو

ثم نهض الأستاذ ليتمان فنوه بمآثر الأستاذ السكندرى وزميله المرحوم الشيخ حسين والى ثم تكلم عما كان للمرحوم الأستاذ نللينو من كفاية عظيمة فى علم المشرقيات والعلوم الإسلامية

وأنشد صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك قصيدة رائعة البيان ، وفى النهاية ألقى كل من الأستاذ عمر السكندرى وسعادة الكونت ماتزولينى وزير إيطاليا المفوض كلمة شكر للمحتفلين الكرام وقد بدأ كل منهما كلمته برفع آيات الحمد إلى مقام جلالة الملك المعظم على تفضله بإيفاد مندوب عن جلالته .